

علاقة الإسلام باليهودية

رؤية إسلامية في مصادر التوراه الحالية

تأليف

د. محمد خليفة حسن أحمد
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٨٨

دار الثقافة للنشر والتوزيع

القاهرة - ت : ٩٠٤٦٩٦



29

٢٩

علاقة الإسلام باليهودية

رؤية إسلامية في مصادر التوراه الحالية

تأليف

د. محمد خليفة حسن أحمد
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٨٨

دار الثقافة للنشر والتوزيع

القاهرة - ت : ٩٠٤٦٩٦

اهـاء

الى صاحب الفضل فى صدور هذه الدراسة بما غرسه فىنا من
حب للحق وتقدير للخير والجمال . الى من أدخلنا الى عالم
الأديان لنكتشف من خلاله فضل الاسلام الى أستاذى الكريم :

الاستاذ الدكتور اسماعيل راجى الفاروقى
رئيس المعهد العالمى للفكر الاسلامى بواشنطن
وأستاذ تاريخ الأديان بجامعة تيمبل الامريكية بڤيلادلفيا
اعترافا بفضلہ ورعايته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرست

٥ - ٧

تمهيد

المبحث الأول : مشاكل هذه الدراسة : ضياع النص الإصلي للتوراة - مشكلة تحديد ما هو وحى فى التوراة الحالية - التطور التاريخى لليهودية وما أصابها من تغييرات - مشكلة إخضاع الدين للتاريخ - التركيز على السلايبات فى علاقة اليهودية بالاسلام عند المستشرقين .

٨ - ١٥

المبحث الثانى : مصادر التوراة الحالية : نظرية المصدر الأم - نشأة نظرية المصادر المتعددة للتوراة - أى المصادر أقدم ؟ - نظرية فلهاوزن فى نقد التوراة - تعريف مصادر التوراة وتحديد طبيعتها واتجاهاتها . أولا : المصدر الألوهيمى - ثانيا : المصدر اليهودى - ثالثا : المصدر الكهنوتى - رابعا : المصدر التثنوى - ملاحظات مقارنة فى المصادر وعلاقاتها الداخلية فى نص التوراة .

١٦ - ٢٨

المبحث الثالث : رؤية اسلامية فى مصادر التوراة الحالية : الموقف النقدى الاسلامى من التوراة الحالية . وسائل التغيير النصى للتوراة حسب التصور القرآنى . النقد الاسلامى لمصادر التوراة . المصدر الألوهيمى أقرب مصادر التوراة الحالية الى الرؤية الاسلامية لليهودية .

٣٩ - ٦٠

المبحث الرابع : نتائج وتوصيات نهائية فى علاقة الاسلام باليهودية

ضرورة تجنب التعميم فى تحديد علاقة الاسلام

باليهودية • القرآن الكريم مقياس للوحى فى التوراة •

نزعة الاسلام التصحيحية وقضية الصراع بين الاسلام

والاديان • دور علم مقارنة الأديان • ضرورة الاهتمام بكتابات

علماء المسلمين فى نقد الكتب المقدسة • قضية الاسرائيليات •

قضية العالم الاسلامى مع الصهيونية • فائدة الدراسات الدينية

المقارنة للاعلام الاسلامى التوجه • ٦١ - ٧٧

٧٨ - ٩٧

الحواش

٩٩ - ١٠٢

المصادر والمراجع

تمهيد

لقد أجمع مؤرخو الأديان ، على اختلاف بيئاتهم وخلفياتهم الثقافية والدينية ، على أن هناك علاقة وطيدة تجمع بين اليهودية والإسلام ، وتحتم ضرورة تصنيفهما مع المسيحية داخل دائرة دينية واحدة ، ووضعهم معا ضمن مجموعة دينية واحدة متميزة عن غيرها من المجموعات الدينية التي عرفها تاريخ الأديان . وقد اعترف هؤلاء المؤرخون أيضا بأن علاقة اليهودية بالإسلام تعتبر أقوى من علاقة اليهودية بالمسيحية على الرغم من الصلات التاريخية والدينية المباشرة الرابطة بين الديانتين الأخيرتين .

وعلى الرغم من الإجماع على تقارب اليهودية والإسلام إلا أن وصف هذه القرابة الدينية عند كثير من مؤرخي الأديان اعتمد على التعميم ، وذلك باستخراج مجموعة مشتركة من المفاهيم الدينية بين اليهودية والإسلام ، وعقد مقارنة بينهما للبرهنة على هذه القرابة . ومع أن هذا الاتجاه في تحديد هذه القرابة صحيح إلى حد ما ، ولكنه في حالتنا هذه لا يخلو من عيوب ، ومن مشاكل منهجية ربما لا يدركها أصحاب هذا الاتجاه في الدراسة المقارنة بين الأديان .

ومن أهم هذه المشاكل المنهجية التي تواجهنا في المقارنة بين اليهودية والإسلام مشكلة اختلاف وضع اليهودية عن وضع الإسلام مما يجعل المقارنة خاطئة منهجياً إذا ما قامت على أساس التعميم الذي ذكرناه . ولعل من أهم مظاهر هذا الاختلاف في

الوضع بين الديانتين تشعب اليهودية في مقابل وحدة الاسلام ،
وتغير النص التوراتي في مقابل ثبات النص القرآني ، واعتماد
التفسير الانساني للوحي كمصدر للمعرفة الدينية في اليهودية
في مقابل اعتبار الوحي المصدر الأول والاخير للمعرفة الدينية
في الاسلام ، واعتبار العقل مجرد وسيلة لتفسير الوحي ، وما نتج
عن ذلك من عتيم الخلط بين الوحي وتفسيره ، أو ضمهما في كتاب
واحد ، كما هي الحال في التوراة التي جمعت بين ما هو الهى
(الوحي) وما هو انساني (تفسير الوحي) في عمل واحد .

ونتيجة مباشرة لهذا الوضع السابق يرى كاتب هذا البحث
ضرورة إعادة النظر في موضوع علاقة اليهودية بالاسلام ، وإعادة
صياغة هذه العلاقة وتحديد ما في ضوء المتغيرات التي طرأت على
اليهودية كديانة ، وبالعهد عن التعميم في المقارنة لما له من مضار
واضحة في حق الاسلام كدين ، وفي حق المنهجية العلمية وموضوعية
البحث العلمي ، ومن أجل الوصول إلى نتائج نهائية
قائمة على أسس منهجية سليمة وبمعينة عن الأغراض الدفاعية
يما لها من دينيات ، وما يفتح عنها من تعصب علمي وديني .

والسؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا هنا هو :
أية يهودية تلك التي للاسلام علاقة بها ؟ ويصدر هذا السؤال
عن حقيقة علمية توصل إليها علماء نقد التوراة وبقيّة كتب
العهد القديم خلال القرن الماضي . وهذه الحقيقة تقول أن
التوراة الحالية استمدت مادتها الدينية والتاريخية من مصادر
متعددة . وهذا يعني في المقام الأول أن الوحي ليس المصدر
الأول والاخير للتوراة الحالية ، ولكن هناك مصور انساني متعدد

الاتجاهات وجد طريقه الى نص التوراة عبر اجيال من التاريخ اليهودى ، وأن هذا المصدر الانسانى زانة على نص التوراة الاصليه وانتقص منه ، بما يناسب فى النهاية رؤية هذا المصدر الانسانى واتجاهه الدينى .

هذه الحقيقة ليست ، بطبيعة الحال ، جديدة على المسلمين فقد توصل إليها علماء تاريخ الاديان المسلمون ، الذين يعود اليهم الفضل فى وضع أسس علم نقد التوراة قبل أن يعرفه علماء الغرب بقرون طويلة . وكان القرآن الكريم لتلعب علماء تاريخ الاديان المسلمين فى تقديمهم للتوراة . فقد قدم القرآن الكريم عرضاً نقدياً مفصلاً للتوراة استمد منه هؤلاء المؤرخون ما لديهم النقدية ، والخطوط المنهجية العريضة لنقد التوراة ، وما يقدمه من وصف دينى وتاريخى لبنى اسرائيل .

تعددت إذن مصادر التوراة الحالية ، واختلفت هذه المصادر فى فهمها لليهودية ، وتباينت فى تفسيرها للنص : ولم تكن بذلك بل ضمت هذا التفسير للنص ، لا كحواشى له اسفل النص الاولى جانبية ، ولكن كجزء لا يتجزأ منه : وكانت النتيجة النهائية اختلاط نص التوراة ، وضياح نسختها الاولى الاصليه قبل اضافة التفسيرات المختلفة اليها ، وظهور اتجاهات دينية مختلفة على ما أضيف الى النص من نصوص ، وعلى ما جفد منه . وبناء على هذا فالحديث عن علاقة الاسلام باليهودية يتطلب ضرورة تحديد المصدر والاتجاه الذى يمثله ، والذى يمكن أن يقترب من الرؤية الاسلامية لليهودية ، ويكون بالتالى المصدر المعبر عن علاقة حقيقية بالاسلام ، وبغيدة عن التعظيم الذى وقعت فيه كثير من الدراسات المقارنة بين اليهودية والاسلام .

المبحث الأول

المشاكل المنهجية المرتبطة بتحديد علاقة الاسلام باليهودية

اتضح من المقدمة السابقة أن هدف هذا البحث الوصول إلى المصدر التوراتي الذي يمثل اتجاها دينيا تاريخيا يقترب من التصور الاسلامي لليهودية وللتاريخ اليهودي . ويتطلب هذا الهدف ضرورة استعراض مصادر التوراة الحالية حسب تقرير علماء نقد التوراة لها لتعرف مادتها ، والنصوص التي تنتمي إليها من نص التوراة الحالية ، والاتجاهات الدينية ، والرؤى التاريخية التي تمثلها ، ثم تحديد ذلك المصدر الذي نرى فيه تقاربا من النظرة الاسلامية لليهودية . ولكن قبل الدخول في هذا الوصف والتحليل لمصادر التوراة الحالية ، يجب أن نعرف بأن هناك مشاكل عديدة تواجه مثل هذه الدراسة : ونرى ضرورة عرضها لكي تكتمل الصورة التي نود تقديمها للقارئ الكريم في هذا الشأن . وهذه المشاكل يمكن تصنيفها إلى ما يلي :

أولاً : مشكلة ضياع النص الاصيل للتوراة :

وفي هذا الخصوص توصلت جهود علماء النقد إلى أن النص الاصيل للتوراة لا وجود له ، وأن التوراة الحالية اعتمدت في بدايتها على سمات انسانية استفادت من نص قديم للتوراة ، فقدت حقه ، وتغيرت فيه بالزيادة والنقصان . كما استقر الرأي على أن تثبت نص التوراة على ما هو عليه الآن يعود إلى حمزرا (١) ومن بعده لم تمتد إليه التعديلات والتبديل إلى النص .

والمشكلة الأساسية التي يمثلها ضياع النص الأصلي تتركز في انه أصبح من المستحيل الوصول الى تصور قديم أولى للتوراة ومناهيمها الدينية الاولى ، وان اقصى ما يمكن الرجوع اليه زمنيا ببعض أفكار التوراة الحالية لا يمكن أن يتعدى القرن الثالث بعد موت موسى عليه السلام ، أي القرن العاشر قبل الميلاد بالتقريب (٢) . وحتى هذا التحديد يتقبله كثير من النقاد مع عديد من التحفظات . هناك إذن فترة تقترب من أربعة قرون لا نجد تغييرا في التوراة الحالية عن طبيعة الوضع الديني فيها . وهي في نفس الوقت أهم وأخطر فترة بالنسبة لدراستنا هذه ، فهي تبدأ بعصر موسى عليه السلام ، أي عصر التوراة الأصلية . وهي الفترة التي شهدت وجود التوراة الأصلية ، واستمرار استخدامها من اليهود بعد موسى عليهما السلام لمدة من الزمن لانستطيع تحديدها داخل هذه القرون الأربعة . أما عن التواريخ والأحداث والاشارات المذكورة عن هذه القرون الأربعة في التوراة الحالية فهي من وضع المصادر المتأخرة التي حاولت تنسيق صورة متكاملة لتاريخ الاسرائيلي القديم عادت به في أحيان كثيرة الى بداية الخلق .

ثانيا : مشكلة تحديد ما هو وحى في التوراة الحالية :

وكننتيجة مباشرة لضياع النص الأصلي للتوراة ، وما أصابها من تبديلات وتغييرات وتحريفات ، أصبحت مطرفة الاجزاء الموحى بها فعلا أمرا في غاية الصعوبة . فقد ضاعت عبارات والفاظ الوحي الأصلية في خضم عمليات التحرير التي خضع لها نص

التوراة • وقد تسرب التناقض الى التوراة ، وأصابها الخلل في بنائها وتعددت أساليبها ، واختلفت مفاهيمها •

وقد جعلت هذه المشكلة من الصعب تحديد علاقة الاسلام باليهودية على أساس الدراسة المقارنة للنصوص الدينية ، حيث استحالات مقارنة نص التوراة الحالية بنص القرآن الكريم لتوضيح نقاط التقائهما كوحى من عند الله سبحانه وتعالى ، قبل أن تمتد يد التعبير الى التوراة الموحى بها ، وباعتبار القرآن الكريم مؤيداً ومصداقاً لما قبله من الوحي : « نزل عليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل • ومن قبل هدى نُّناس وأنزل الفرقان ••• » (آل عمران ٢ - ٣) •

وفى هذا المجال يقدم القرآن الكريم المقياس الحقيقى لتحديد ما هو من الوحي فى التوراة الحالية • فعن طريق المقارنة اللفظية والمعنوية لنص التوراة الحالية بما ورد فى القرآن الكريم عن تأريخ اليهودية وتاريخ بنى اسرائيل ، نستطيع الوصول الى تحديد بعض الفقرات والعبارات التى يمكن أن تكون مؤشرات الى لغة ومعانى ما هو وحي فى التوراة • ومقاييسنا فى هذا التحديد هو أن ما يوافق تعاليم القرآن الكريم من التوراة الحالية فهو من الوحي ، أو قريب من ذلك ، ويكون التحديد هنا بالمعنى لا باللفظ • هذا مع الاعتراف بوجود الفاظ وعبارات نادرة جداً تشترك فيها التوراة مع القرآن الكريم • وهذا لا يعنى فى معظم الاحيان الاتفاق بين التفسير الاسلامى والتفسير اليهودى فى شأن هذه اللفاظ والعبارات المشتركة • والسبب فى ذلك هو أن مثل هذه اللفاظ

المشتركة قد تلقت تفسيراً مبايناً على يد المفسرين اليهود ، وأعطيت معاني ربما لا تتحملها هذه الالفاظ ، أو تكون المعاني المتضمنة فيها قد أهملت فلم تعد لها قيمة دينية عملية فى حياة اليهود المتأخرين . وعلى أية حال يعتبر القرآن الكريم المقياس النقدى الوحيد الذى به يتحدد ما هو صحيح فى التوراة الحالية ، وما هو مبطل ومحرّف فيها . وعلى الرغم من أن الاناجيل قريبة العهد من التوراة ونصّها الا أنها لا تمثل مقياساً نقدياً للتوراة بنفس الدرجة التى يمثلها القرآن الكريم . والسبب فى ذلك هو أن الاناجيل انشغلت بتدوين حياة عيسى عليه السلام من وجهة نظر كتابها ، وأهملت علاقاتها باليهودية وتوراتها . هذا بالإضافة الى أن ضياع الانجيل الاصلى جعل امكانية المقارنة مستحيلة مع نص التوراة من أجل الوصول الى ما ينتمى الى الوحى منها .

ثالثاً : التطور التاريخى لليهودية وما أصابها من تغييرات :

يصل عمر اليهودية قبل ظهور الاسلام الى ما يقرب من العشرين قرناً من الزمان . وخلال هذه المسافة الزمنية الطويلة الفاصلة بين اليهودية والاسلام ، تعرضت اليهودية لتطورات عديدة ابتعدت بها عن اليهودية الاصلية الاولى التى كان من الممكن عقد مقارنة ايجابية بينها وبين الاسلام . وازداد هذا البعد عن الأصول الاولى لليهودية كذلك فى الفترة من ظهور الاسلام حتى الآن ، وأصبح البحث عن الأصول المشتركة من الأمور المضنية والمرهقة عقلياً . فقد تركتنا هذه القرون الطويلة مع يهودية ضعيفة الصلة بالاسلام ، بعد أن تعددت الرؤى الديقية

والتاريخية المتناقضة ، والتي مزقت اليهودية ، وأدخلت عليها عناصر غريبة على التفكير الدينى التوحيدى .

رابعاً : مشكلة اخضاع الدين للتاريخ :

اخضاع الدين للتاريخ خاصية من أهم خصائص التفكير الدينى اليهودى ، وهى تعد واحدة من المشاكل الخطيرة التى تقف فى طريق تحديد العلاقة بين الاسلام واليهودية . وقد ظهرت هذه الخاصية كنتيجة لمحاولات البحث عن تفسير دينى جديد يلائم الظروف التاريخية التى يمر بها اليهود . ونظرا لكثرة أزمت التاريخ اليهودى فقد تعددت الرؤى والتفسيرات ، ومحاولات اخضاع الدين اليهودى لمتغيرات الزمان والمكان . وكانت النتيجة ابطال مفاهيم دينية قديمة ، وتطوير مفاهيم جديدة تناسب عصور أزمت التاريخ اليهودى . وعلى هذا فقد شهدت فترات السبى البابلى ، وظهور دعوة عيسى عليه السلام ، وفترة الاضطهاد الرومانى (٧٠ م) ، وظهور دعوة الاسلام ٠٠٠ شهدت هذه الفترات تغييرات جذرية فى بناء اليهودية كرد فعل تجاه هذه الظروف التاريخية الدينية . وكانت النتيجة اعادة تفسير اليهودية لاكثر من مرة . وفى كل مرة تضاف عناصر جديدة ، وتبطل مبادئ قديمة الى أن غرقت اليهودية فى بحر من المتناقضات والانحرافات عن خط التوحيد القديم . ومن أهم نتائج اخضاع الدين للتاريخ تقوقع اليهودية على نفسها ، وعزلتها عن طريق عدد من الافكار العنصرية التى تسربت اليها ، اما بهدف الدفاع عن نفسها ، أو كتنوع من العناد الدينى الذى لا يقوم على أساس عقلانى ، والذى

يهدف الى رفض كل المعطيات الدينية الجديدة التى تمثلت على وجه الخصوص فى رسالتى المسيحية والاسلام . وتطورت لهذا السبب مفاهيم غريبة على التوحيد منها مفهوم الاختيار لبنى اسرائيل، وتخصيص التوحيد ، أى جعله قصرا على اليهود ، والسماح للشعوب الاخرى بعبادة آلهة أخرى ، وكذلك منع التبشير باليهودية ، وجعل الدخول فيها يقوم على أسس عرفية وكذلك أيضا تخصيص الخلاص أى جعله خلاصا يهوديا لا يمتد الى غير اليهود من البشر . هذه الظواهر الجديدة بعدت باليهودية عن مسار التوحيد الصحيح ، وجعلت مقارنتها بالاسلام من الامور الصعبة .

خامسا : التركيز على السلبيات فى علاقة اليهودية بالاسلام عند المستشرقين :

ان آفة الدراسات الخاصة ببحث علاقة اليهودية بالاسلام انها لا زالت تركز على ما يمكن تسميته بسلبيات هذه العلاقة . فالمستشرقون ، وكثير منهم من اليهود ، عالجوا هذه العلاقة بمعالجة بعيدة عن الموضوعية ، متخذين موقف الدفاع عن اليهودية ، والتقليل من شأن الاسلام . وجاءت نتائج بحوثهم معبرة اما عن جهل بالاسلام ، وعدم ادراك لروحه وجوهره ، او عن تجاهل لحقيقة الاسلام ، وحقيقة علاقته باليهودية . وربما كان السبق التاريخي لليهودية احد اسباب تجاهل هؤلاء المستشرقين لمبادئ الاسلام وتعصبهم ضدها . وهذه ظاهرة تتكرر فى تاريخ الأديان . فالدين الجديد يقابل دائما بالتجاهل والعداء من جانب القديم . هذا بالإضافة الى أن الاسلام جاء كمصحح للتراث الدينى السابق عليه ، فتعرض بالنقد لهذا التراث يهوديا . كان أو مسيحيا ، أو غير

ذلك . وهذا الموقف النقدي التصحيحي للاسلام لم يقرره المستشرقون حق قدره ، فقد بطلوه بالتجاهل والعداء بدلا من تعقبه ومحاولة فهمه . وكرسوا بحوثهم ودراساتهم لتدبر على الاسلام ومحاولة الاخذ منه ، فخرجوا لنا بمجموعة آراء سلبية عن علاقة اليهودية بالاسلام .

ومن أول هذه الآراء السلبية القول بالتأثير اليهودي الشامل على الاسلام ، ورد كل المفاهيم الاسلامية الى اصول يهودية ، والادعاء بأن الاسلام لم يأت بجديد . بل وذهاب بعض المستشرقين الى اعتبار الاسلام والمسيحية بنتين صغريين لليهودية الأم ، الى غير ذلك من التشبيهات الزائفة التي لا تعبر عن الحقيقة ، ولكن تهدف الى محو الاسلام نظريا وعمليا (٢) . ويتعمد هؤلاء في سلبيتهم حين لا يقررون بأى تأثير للاسلام على اليهودية ، وينكرون الحقائق التاريخية والدينية الدالة على هذا التأثير عبر التاريخ ، وأينما حدث اتصال بين الاسلام واليهودية . خلاصة موقف هؤلاء المستشرقين من اليهود أنهم اتخذوا موقف الدفاع عن اليهودية ، وعدم اعمال العقل فيما يقدمه الاسلام كدين ، وما يريده من اصلاح لليهودية والمسيحية .

وقد اختلف موقف الاسلام والمسلمين . فالباحث المسلم يقف على أرض صلبة فيما يتعلق بتحديد موقفه من اليهودية والمسيحية . فهذا الموقف قد حدده له القرآن الكريم ومؤداه الاعتراف باليهودية الاصلية ، والايمان بأنبياء بنى اسرائيل ، وبالكتاب التي

انزلت اليهم ، وتصحيح آرائهم فى عقيدتهم ، وفى انبيائهم . وهذا يوضح مدى ايجابية الموقف الاسلامى . وأنطلاقا من هذه الايجابية كانت رغبة الاسلام فى تصحيح الأوضاع الدينية اليهودية والمسيحية ، هذا مع الاحتفاظ بالحرية الدينية لاتباع اليهودية والمسيحية ، وعدم اكراههم على الدخول فى الاسلام الا عن طريق الانتناع العقلى .

المبحث الثانى

مصادر التوراة الحالية

ذكرنا أن جهود علماء نقد التوراة فى الغرب انتهت الى الاعتراف بتعدد مصادر التوراة الحالية ، وإبتعادها عن أصلها الموحى به . وهذا يعنى فى نفس الوقت الأخذ بالرأى الاسلامى الذى أقره القرآن الكريم ، وأقرته بحوث علماء تاريخ الاديان المسلمين منذ ظهور الاسلام فى شأن التوراة الحالية .

وقد اختلغت وجهات نظر مصادر التوراة ، فالحال ان بعضها تطرف فى بعده عن الاصول الاولى لليهودية ، فى نفس الوقت الذى حاولت فيه مصادر أخرى الاقتراب من هذه الاصول الاولى ، وتبنت بعض المصادر موقفا وسطا فى محاولة للتوفيق بين النوعين الاولين من المصادر . وتحديد علاقة الاسلام بالمسيحية على اساس جديد يجب ان يأخذ فى الاعتبار هذا التباين فى المصادر واتجاهاتها . ووجهة نظر صاحب هذا البحث أن علاقة الاسلام بالمسيحية ليست علاقة عامة ، أى علاقة دين بدين على نفس المستوى ، ولكنها علاقة للاسلام بمصدر واحد من مصادر التوراة ، التى هى فى نفس الوقت مصادر للمسيحية كما نعرفها اليوم . واذا ما تم اكتشاف هذا المصدر من الواجب علينا رفض المصادر الاخرى ونبذها ، وعدم الاعتراف بما تحويه من افكار دينية وتاريخية . ولاكتشاف

هذا المصدر صاحب العلاقة بالاسلام لايد من استعراض مصادر التوراة ، وتحديد طبيعتها واغراضها ، ومواضعها فى التوراة الحالية ، ثم تحديد الموقف الاسلامى منها • ونحن مضطرون الى هذا بسبب ضياع نص التوراة الاصلى ، وتغير يهودية اليوم • فواقع التوراة الحالية ، وواقع اليهودية الحالية يحتمان على الباحث المسلم تحديد موقفه منهما ، وهذا التحديد لا يمكن أن يتم الا بائدراسة المنهجية الواعية ، والتدوين التاريخى الدينى الدقيق لمحتوى التوراة الحالية ، ومعطيات اليهودية • والفكرة الرئيسية التى تعتبر محور هذه الدراسة هى أن البحث العلمى المنهجى المقارن فى مادة مصادر التوراة الحالية هو الوسيلة الوحيدة لتحديد علاقة الاسلام باليهودية على أساس سليم •

نظرية المصدر الأم :

تشتمل مصادر التوراة الحالية - على الرغم من اختلاف رؤيتها ومضامينها - فى جزئيات صغيرة منها على اشارات الى موقف أولى أصيل ، وعلى دلالات معنوية يظهر منها أنها ناشئة عن أفكار أولية ، ربما تشير فى مجموعها الى وجود أصل أول أم لكل المصادر الأخرى التى اقتربت منه ، أو ابتعدت عنه حسب ظروف ظهور كل منها ، والخلفية التاريخية والدينية لمن أدخلوه فى نص التوراة • ومن هنا فاختلاف المصادر محوره أصل أول نشأت حوله هذه المصادر وتبلورت • وهى ليست الا محاولات إنسانية لتفسير مادة المصدر الاول ، التى هى مادة الوحى • وأقدم المصادر

(م ٢ - علاقة الاسلام باليهودية)

هو أقربها زمنيا من هذا المصدر الأم ، وليس بالضرورة أكثرها تأثرا به . بل ان بعض المصادر المتأخرة تظهر على الرغم من تأخرها ميولا واضحة تجاه هذا الاصل الاول ، الذي يطلق عليه بعض علماء نقد التوراة « المصدر وراء المصادر » (٤) .

نشأة نظرية المصادر المتعددة للتوراة :

لقد أثارت الاختلافات والتناقضات الواضحة في صفحات التوراة الحالية انتباه كثير من الباحثين قديما وحديثا . ومع الاعتراف بوجود محاولات سابقة لاكتشاف تعدد مصادر التوراة كسبب لهذه الاختلافات والتناقضات الا ان العالم الناقد الكاثوليكي استروك Astruc (١٧٥٣) كان أول من أشار صراحة الى تعدد المصادر مستندا في ذلك الى اختلاف أسماء الألوهية في سفر التكوين ، فاعتبر الاسمين « الوهيم » و « يهوه » ممثلين لمصدرين أساسيين مضيئا اليهما عشرة مصادر فرعية (٥) . وقبل هذه المحاولة من استروك ، كان الناقد البروتستانتي فيتر Witter قد أشار في عام ١٧١١ م الى الخلافات الأسلوبية الواضحة في الروايات الخاصة بقصة الخلق في سفر التكوين من التوراة (٦) . وتوالى الاعمال النقدية المصدرية فأضاف ايشهورن Eichhorn دراساته المصدرية في قصة الطوفان (١٧٨٠) . كما توصل الجن Elgen (١٧٩٨) الى تمييز عدة مصادر داخل المصدرين الألوهيمي واليهوي . واتفقت هذه الاعمال على أن التوراة تتكون من مجموعة كتابات جمعت وحررت وضمت في عمل واحد .

أى المصادر أقدم ؟

كانت العملية النقدية الثانية بعد الاقرار بتعدد مصادر التوراة محاولة الوصول بالوسائل النقدية المتاحة الى تحديد زمن ظهور المصادر المختلفة ، وضمها الى نص التوراة ، وبالتالي تحديد أقدم هذه المصادر عنرا ، وأبرزها من حيث التأثير على الشكل الحالى للتوراة . وقد اختلفت آراء النقد فى هذا الخصوص . فقد اعتبر النقادان كيله Kelle (١٨١٢) وأفالد Ewald (١٨٢٣) المصدر الانوهمي المصدر الأساسى لكتب التوراة الخمسة ، والمصدر الموحد لمادة التوراة على الرغم من التنوع ، أو الاختلاف الواضح فى بعض رواياتها (٧) . وقد اكمل هذا المصدر الاساسى فيما بعد بإضافة بعض النصوص المتباينة فى اغراضها ، وأسلوبها الادبى واللغوى . وقد قوبل هذا الرأى بالفرض من قبل كثير من النقاد ، الذين رفضوا كذلك اعتبار المصدر اليهودى مصدرا أساسيا . فهو فى رأيهم مكون أصلا من سواد تكميلية للمصدر الانوهمي . وفى عام ١٨٥٣ م رتب هوبفلد Hupfeld مصادر سفر التكوين ، فاعتبر الانوهمي اقدمها ، والرابط لموادها التى تبدأ بقصة الخلق ، وتنتهى باستيطان العبريين فى كنعان ، ويأتى من بعده المصدر اليهودى الذى يتناول نفس الفترة التاريخية ، ولكن بأسلوب مغاير لأسلوب المصدر الانوهمي (٨) . ويعتقد هوبفلد Hupfeld أنه بالإضافة للمصدر الانوهمي الاصلى يوجد مصدر انوهمي آخر ، متأخر عنه ، وسابق فى نفس الوقت للمصدر اليهودى ، وأن هذه المصادر الثلاثة حررت وجمعت فى عمل واحد هو سفر التكوين الحالى الذى يعتبر أهم أسفار التوراة (٩) . وقد اختلف بالمصدر

اليهوى مصدر اللوهمي ثان ، أقرب الى المصدر اليهوى فى لغته وأفكاره منه الى المصدر اللوهمي الاول . وبهذا الشكل يكون سفر التكوين من التوراة خليطا من المصدر اللوهمي الاول والمصدر اليهوى اللوهمي المختلط . وبهذا الشكل نستطيع أن نقرر أن اللوهمي يمثل أقدم مصادر التوراة ، كما أنه المصدر الغالب بأفكاره ولغته .

نظرية فلهاوزن فى نقد التوراة :

أضاف يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨) الى النقد السابق للتوراة عملية الربط بين المصادر ومراحل تطور الديانة اليهودية ، فأعاد ترتيب المصادر حسب علاقتها بتاريخ اليهودية ، وبهذا دخلت عملية النقد مرحلة جديدة وخطيرة كان لها تأثيرها المباشر على حركة نقد التوراة بشكل عام ، وجعلت من فلهاوزن اعظم ناقد للتوراة فى عصرنا الحديث (١٠) .

ولعل من أبرز نتائج أبحاث فلهاوزن ما أقره من أن التشريع اللوسوى لم يكن نقطة البداية فى تاريخ اليهودية كما هو معهود . ولكن البداية جاءت متأخرة بعد عصر السبى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد . واعتبر فلهاوزن أحداث الخروج من مصر نقطة البداية لتاريخ بنى اسرائيل ، مهما ما يسمى بعصر الآباء أو عصر البطارقة . وهى رأى أن روايات عصر الآباء غير موثوق فيها لانها تعكس أفكار عصر متأخر ، وهو العصر الذى دونت فيه . وبالإضافة الى ذلك يعتبر فلهاوزن عصر

أنبياء بنى إسرائيل عصر الازدهار الحقيقى للديانة اليهودية . فمع الانبياء عرف بنو إسرائيل التوحيد الخالص ، وأنكروا وجود الالهة الاخرى ، وحولوا علاقة الانسان بالاله الواحد الى علاقة اخلاقية بدلا من العلاقة القومية السابقة على عصر الانبياء (١١) . وفى مرحلة تالية ابتعدت الديانة عن تعاليم الانبياء الاخلاقية ، وتم التركيز على العبادة والطقوس ، مما نتج عنه تطور نظام عقائدى طقوسى عرف بالتشريع الكهنوتى . وقد أضرت هذه المرحلة الاخيرة بطبيعة الدين ، وقضت على تلقائيته ، وخلقت طبقة مهيمنة من رجال الدين يتوارث بعضها الآخر ، وتحول اليهود الى جماعة كهنوتية لا تهتم بالاخلاقيات بقدر ما تهتم بالطقوس . واصبحت اليهودية بالجمود والتعقيد ، وقتلت الروح الدينية الجماعية ، كما ضاعت التجربة الدينية الذاتية فانتهى الشعور الدينى الجماعى والفردى بهذه التبعية المطلقة لطبقة الكهنوت .

وينسب فلهاوزن تراث الانبياء الى المصدر اللوهمى فقد تميز هذا المصدر بعناصره النبوية ، وانتشار مفهوم دينى روحى مما جعله يتميز على المصدر اليهودى . هذا وان كان المصدر اليهودى أقدم عند فلهاوزن من المصدر اللوهمى ، فاليهوى يعود الى النصف الثانى من القرن التاسع قبل الميلاد ، بينما يعود اللوهمى الى بداية القرن الثامن قبل الميلاد . وبعد سقوط السامرة ضم النصف اليهودى واللوهمى فى نص واحد فى محاولة توفيقية مع بعض التفضيل للمصدر اليهودى (١٢) .

وقد تكونت على أساس نظرية فلها وزن مدرسة نقدية كبيرة عملت على التوسع في تطبيق هذه النظرية على كل كتب العهد القديم بعد أن كان تطبيقها محصورا في التوراة . وعملت هذه المدرسة أيضا على تحديد الفقرات التابعة لكل من المصدرين الألوهيمي واليهوى ، وتحديد بنية المصادر واتجاهاتها ، وتوضيح ما تعرض له المصدران اليهوى والألوهيمي من عمليات تحرير وتنقيح وتوفيق ، وكذلك عزل المصادر الفرعية داخل كل مصدر ، وتقسيم هذه المصادر الفرعية الى فقرات وجمل بتماديا في الدقة . وقد انتهت هذه الدراسات الدقيقة الى حقيقة نهائية وهي أن التوراة وبقيّة كتب العهد القديم ليست سجلا الهيا ، ولكنها مصدر انساني لديانة العهد القديم . وقد أدت هذه النتائج الى زعزعة الثقة في مكانة التوراة الحالية ككتاب ديني . ولذلك تعرضت نظرية فلها وزن والدراسات المعتمدة عليها لنقد شديد من جانب رجال الدين اليهود الذين رفضوا رفضا باتا ، واعتبروها مدمرة للتراث الديني اليهودي .

تعريف مصادر التوراة وتحديد طبيعتها واتجاهاتها :

بعد هذا العرض لنشأة حركة نقد التوراة وتطورها ذاتي الى الجزء الخاص بالتعريف بالمصادر ، وتحديد طبيعتها ، واتجاهاتها الدينية ، لكي ننتقل بعد ذلك الى تحديد الموقف الاسلامي منها . وسنرتب هذا الوصف للمصادر حسب رأى أغلبية علماء نقد التوراة فنبدا بالمصدر الألوهيمي باعتباره أقدم المصادر وأهمها وننقله بالمصدر اليهوى ثم بالمصدرين الكهنوتي والتثنوي (١٣) .

أولا : المصدر الألوهيمي :

يتميز هذا المصدر (١٤) باستخدام اللفظ « الوهيم » للدلالة على الألوهية (١٥) ، في مقابل اللفظ « يهوه » المفضل عند اليهودي . وكما يتضح أخذ هذان المصدران اسميهما من لفظي الألوهية فيهما . ويحدده بعض النقاد بالقرن التاسع قبل الميلاد ، بينما يورخ له من يعتقد في تأخره عن اليهودي بحوالي ٧٥٠ ق م . ويتضح من مادته عند مقارنتها بمادة المصدر اليهودي أنه يتخذ موقفا معارضا من الاتجاه اليهودي بصرف النظر عن قدمه أو حداثة بالنسبة لليهودي . وهنا ربما يعبر الألوهيمي عن صورة أصولية للديانة والتاريخ خرج عليها اليهودي وعارضها ، أو أن يكون الألوهيمي مصححا لليهودي بمعارضته له وأن كنا نعتقد أن الرأي الأول هو الأصوب ، والأكثر اتقناقا مع الرأي الإسلامي كما سنوضح في الجزء الأخير من هذا البحث . وعلى كل يرى بعض النقاد في المصدر الألوهيمي الرغبة في طمس الأفكار اليهودية وإحلال بدائل الوهيمية لها: (١٦) .

ويمكن تلخيص خصائص المصدر الألوهيمي ، والرؤية الدينية الألوهيمية في التالي :

١ - الشعور الديني العميق بطاعة الله والولاء له ، ورفض الوثنية ، والتأكيد على التوحيد ، وعلى الوحي ، ودوره في الديانة .

٢ - على الرغم من وجود الاجتهاد الذاتي لطبيعة بني إسرائيل الخاصة إلا أن الصلة ضعيفة بين العناصر الدينية والعناصر

القومية • فالعناصر القومية لا تجذب اهتمام المؤرخ الألوهيمي ، فهو يركز على الاختيار الإلهي الديني ولهدف محدد ، هو عبادة الاله الواحد ، وأصبح الاختيار والوعد الإلهي لبنى إسرائيل مشروطا بالتوحيد (١٧) وهو هدف ديني خالص لا تشوبه عناصر قومية عرقية (١٨) • فلا يربط الألوهيمي بين الأرض والدين كما تعبر عن ذلك عبارة « أن تملك كإن لا تملك » (١٩) • ونجد في هذا المصدر تخفيفا ملحوظا للعنصرية المسيطرة على المصدر اليهودي ، والمصادر المتأثرة به ، وعدم اهتمام واضح بفكرة « أرض إسرائيل » واعتبار (حوريب) في سيناء مسكنا للرب ، فهي مهبط الوحي وليست كنعان (فلسطين) •

٣ - البعد الاخلاقي الواضح حيث يركز المصدر الألوهيمي على الجانب الاخلاقي في حياة بنى إسرائيل • فالوحي والشرعية يتسبان صفة اخلاقية أكثر منها طقوسية (٢٠) • ومن مظاهر الاهتمام بهذا البعد الاخلاقي توبيخ بنى إسرائيل على نكثهم العهد بعبادتهم للعبel الذهبى أثناء غياب موسى عليه السلام لتلقى الوحي الإلهي ، وتوضيح واجبات بنى إسرائيل تجاه الرب ، والجار ، والحض على احترام الجار وأشياءه • كما أن نظرة الألوهيمي التاريخية نظرة اخلاقية فاختيار يعقوب عليه السلام يتم على أساس اخلاقي ، والهدف من قصة يوسف عليه السلام هدف اخلاقي ، كما أن خيانة بنى إسرائيل هي السبب في وقوع الهزيمة بهم على يد العمالقة والكنعانيين (٢١) • ويتضح من الألوهيمي رغبته في تبرئة إبراهيم ويعقوب عليهما السلام من الاخطاء (٢٢) ، الى غير

ذلك من المظاهر الموحية بهذا الاهتمام الاخلاقي المسيطر على نظرة
الالوهيمي الدينية والتاريخية . وتتوغل هذه النظرة الاخلاقية الى
النظرة المستقبلية فيما يختص بمصير بنى اسرائيل ، فيتوقع المصدر
الالوهيمي نزول العقاب الالهى ببنى اسرائيل ، وهو عقاب يجلب
الدمار العام ، ويحقق سقوط بنى اسرائيل بسبب تركهم للعبادة
الصحيجة ، وهجرهم لوصايا الرب (٢٣) .

٤ - سيطرة رؤية الانبياء على نظرة المؤرخ الالوهيمي الذى
يهتم كثيرا بالانبياء ، ويصدر على بنى اسرائيل احكاما مشابهة
لاحكام الانبياء عليهم ، وهو ينفرد بنسبة النبوة الى ابراهيم ويوسف
وموسى عليهم السلام (٢٤) . ويصل حملاسه للنبوة والانبياء
الى اعلان الرغبة فى ان تتحول جماعة بنى اسرائيل الى جماعة
من الانبياء (٢٥) . وينفرد هذا المصدر أيضا بنسبة الاهتمام
الالهى للسبعين شيخا الذين صعدوا مع موسى عليه السلام الى
الجبل ، حسب رواية سفر العدد ١١ : ١٤ - ٣٠ . ويسبب هذا
الاهتمام بقرائن الانبياء اعتبار كثير من النقاد المصدر الالوهيمي
البداية الحقيقية لحركة النبوة فى بنى اسرائيل . وهذا يعلل نسبة
المصدر الالوهيمي فى التوراة الى النصف الثانى من القرن الثامن
قبل الميلاد حسب رأى بعض النقاد (٢٦) . فهذا التاريخ شهد
بداية ظهور الانبياء وانتشار دعوتهم فى بنى اسرائيل . ولهذا
يميل المصدر الالوهيمي الى التركيز على التراث الموسوى (٢٧) .

٥ - على الرغم من أن المصدر الالوهيمي يعود فى أصله
الى الشمال الا أن هدفه يتصف بالاهتمام العام ببنى اسرائيل

عامة ، وبدون تركيز على الشمال أو الجنوب ، والخطيئة عنده خطيئة كل بنى اسرائيل ، ولذلك فالعقاب الالهى شامل للجميع (٢٨) .

٦ - يفتح المصدر الالوهيمى الباب واسعا امام بنى اسرائيل لاعلان توبتهم ، وندمهم على ما اقترفوه من أخطاء ، وعن طريق التوبة والندم يحدث العفو الالهى (٢٩) . وينكر المصدر الالوهيمى الدور الذى تلعبه فكرة المسيح المخلص فى تحقيق الخلاص الالهى لبنى اسرائيل . فالخلاص يتم عن طريق التوبة والندم ، والعودة الى العبادة الصحيحة ، وليس عن طريق المخلص . ولاشك أن فى هذا تأكيد على دور الانسان فى تحقيق الخلاص لنفسه ، ويعمله وتوبته وندمه على ما قدم من ذنوب . وفى هذا أيضا تأكيد على صفة المباشرة فى العلاقة بين الله والانسان . وتصور هذه العلاقة المباشرة فى شكل عهد بين الانسان والله ، يركز فيه على دور الانسان الايجابى فى هذا العهد ، والا سيفقد الانسان علاقته بالرب الذى يوصف بأنه اله الشعور والوجدان ، ورب الوصايا بما فيها من تأكيد على وحدانيته وتنزيهه برفض تصويره ، أو تشبيهه بأى من خلقه ومنع القول بامكانية رؤيته (٣٠) والدليل على ذلك عند الالوهيمى هو ظهور الرب لابراهيم وايمالك ويعقوب فى احلام ورؤى وليس ظهوره بشخصه . وعلى الرغم من هذا فالاله ليس بعيدا عن الانسان ، والطريق المقرب اليه هو طريق الروحانية ، والتمسك بالوصايا ، والتوبة عن الاخطاء . ويتضح من هذا كله التركيز على تنزيه الاله ورفض كل وسائل التجسيد والتشبيه فى وصفه ، وكذلك رفض الافكار الانثروبومورفيه فى طبيعة الالهية (٣١) . وللتأكيد على العلاقة المباشرة بين الانسان والله

يتخذ المصدر الالوهيمى موقفاً ضد الكهنوت بسبب توسطه بين
الانسان والله ورفضه للمباشرة فى العلاقة بينهما .

٧ - يبدو المصدر الالوهيمى اكثر تسامحا فى نظرتة الى
المصريين من بقية المصادر فهو يعتبر الجوارى المصريين مسؤولات
عن انقاذ حياة اطفال بنى اسرائيل ، ومن بينهم موسى عليه السلام ،
ونذلك لانهن « يخشين الله » (٣٢) . ويفسر هذا المصدر لجوء موسى
عليه السلام الى منين بأنه راجع الى سوء تفاهم بينه وبين بنى
جلدته من الاسرائيليين ، حيث فشل موسى عليه السلام فى أن يجد
تفهماً منهم لوضعه . وبالإضافة الى هذا فان المصدر الالوهيمى
يصور خروج بنى اسرائيل وهم على علاقة طيبة بالمصريين . حيث
نقرأ « وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين » وكذلك :
« وكان الرجل موسى ذا مكانة كبيرة فى أرض مصر وفي نظر عبيد
الفرعون وفي نظر الشعب » (٣٣) وغيرها من العبارات الدالة على
تسامح الالوهيمى ونظرتة غير المعادية للمصريين .

ثانياً : المصدر اليهودى :

يتميز هذا المصدر (٣٤) باستخدام اللفظ « يهوه » للدلالة على
الالهية (٣٥) وبه سمي عند علماء نقد التوراة . ويتضح من
مادته وحدتها ، واتجاهها التوفيقى ، وتأثرها بالاعمال الادبية
الكلاسيكية فى مصر وبابل . وقد اختلف النقاد فى التاريخ لانه
فأعتبره بعض النقاد من نتاج القرن العاشر قبل الميلاد (٣٦) وتسببه
بعضهم الى القرن التاسع ق.م . وهو بهذا أقدم من المصدر

الالوهيمى ، بينما اعتبره آخرون أحدث من الالوهيمى • وأهم الخصائص التي تميز المصدر اليهودي الربط القوي بين الدين والقومية .

وهي صفة تخص هذا المصدر دون غيره ، وأن ظهرت في غيره من المصادر فذلك من تأثيره • ومن أهم مظاهر هذا الربط بين الدين والقومية الاهتمام الواضح بمفاهيم الأرض والملك ، والتفاخر بالملكية والملكة (٣٧) ، والثناء على انتصارات بعض ملوك بني اسرائيل ، والحماس السياسى القومى ، وربط ذلك بالعقائد والطقوس ، والميل الواضح الى تفضيل حياة الزراعة على الحياة البدوية الصحراوية ، ففي الاولى يتحقق الاستقرار وتنمو القومية المرتبطة بالأرض ويتم تطوير العقيدة وطقوسها حول الحياة الزراعية (٣٨) • ويعتبر عصر داود عليه السلام العصر الذهبى عند المؤرخ اليهودى فهو العصر الذى تحققت فيه كل الافكار السابقة ، وتم فيه الربط بين الرب والشعب والأرض فى ثلاث لا ينفك • وهكذا فعصر داود نهاية لنظام قديم ، وبداية لنظام جديد تم فيه تطوير التراث الاسرائيلى القديم ، وفسرت وعُود الرب مع الآباء تفسيراً جديداً يركز على العنصر القومى ، فالاختيار الالهى والوعود الالهية أصبحت جميعاً تدور دائرة واحدة تبدأ بالخروج من مصر وتكوين جماعة بني اسرائيل فى سيناء ، وتنتهى بالحصول على الاستقرار والأرض فى عصر داود • ويصور المؤرخ اليهودى الرب « يهوه » فى صحبة شعبه المختار ليتمكن من الاستقرار • ويجب ان نعرف ان هذا المصدر هو الذى خلق فكرة أرض اسرائيل « كمصطلح مفضل يطلق على كنعان الأرض المثلثة عسلا ولبناً (٣٩) • ومن مظاهر الربط بين الدين والقومية فى هذا المصدر اعتبار « يهوه » الها لبني اسرائيل ،

والتركيز على ارتباط الرب بشعبه المختار ، ومن ثم التركيز كذلك على مفهوم الخلاص الذي يحققه الرب لشعبه ويعود الى هذا المصدر كل ما يتعلق بالافكار المسيحية والنبوءات الخلاصية المنتشرة في صفحات التوراة (٤٠) .

وهكذا يتضح من اهتمام هذا المصدر الاتجاه الى ابراز العناصر القومية وتفسير الدين على أساسها ، وهو يقف ضد عالمية الدين والتوحيد على الرغم من عودته بالعهد الى ابراهيم (عليه السلام) ، وإشارته الى الوحدة الرئيسية في عبادة ابراهيم ، ووصفه انه ابراهيم بأنه اله العالم . وهو ينتهي في كل هذا الى تخصيص التوحيد والوقوع نهائيا في براتين . الخصوصية في الدين والعنصرية في العبادة .

ثالثا : المصدر الكهنوتي :

أطلق على هذا المصدر (٤١) اسم المصدر الكهنوتي لانه من عمل كهنة الهيكل الذين عكفوا على تحرير المصدرين اللاهوتيين واليهوي ، فزادوا عليهما اضافات جديدة مطولة من مصادر زعموا أنها كانت موجودة في الهيكل المنمر (٤٢) . ويعود تاريخ ظهور هذا المصدر الى فترة السبي البابلي (٥٨٦ - ٥٣٨ ق م) . ويتفق النقاد على نسبة هذا المصدر الكهنوتي الى عزرا حوالي منتصف القرن الخامس ق م (٤٣) الذي ضم هذا المصدر الى المصادر السابقة عليه فأصبح واحدا من عناصر بناء التوراة الحالية . ويعتبره بعضهم آخر مصادر التوراة من ناحية الظهور الزمني ، ويدل على ذلك أيضا أسلوبه الأدبي ولغته ، ومضامينه

الدينية ، كما أن الطقوس والشعائر والوصايا والامور العقائدية التي يضمها تدل جميعها على درجة من التطور توحى بتأخرها الزمنى ، وأنها تأتي فى آخر مرحلة من مراحل تطور الديانة اليهودية وطقوسها .

ومن أهم ما يميز مادة هذا المصدر المنتشرة فى التوراة الحالية تركيزها الواضح على العيادة وتنظيم الطقوس والشعائر والفروض الدينية والاحكام التشريعية . فمن الامور التى تعانجها مادة المصدر الكهنوتى قوانين السبت ، والختان ، والوصايا ، والاعياد ، والواسم الدينية . ويهتم أيضا بالنظم والتشريعات القانونية القديمة الخاصة بالعبادة والكهنوت . وتسرى عبر هذا المصدر محاولة استنباط العادات والشعائر الطقوسية من مناسبات وأحداث تاريخية (٤٤) ، وتأخذ المادة التشريعية عادة مكان الصدارة على المادة التاريخية ، بعكس موقف المصادر السابقة التى قدمت الاحداث التاريخية على القوانين والتشريعات المستمدة منها ، وهو الوضع الطبيعى ، فالمنطقى هو أن تسبق الاحداث التاريخية تلك التشريعات للأخوذة عنها . ويتضح من هذا أن مؤرخ المصدر الكهنوتى يستفيد من الاحداث التاريخية ، ويستغلها للتدليل على تشريعاته وتبريرها ، كما يستخدم خيطا تاريخيا رفيعا للربط بين أطراف تشريعاته الكهنوتية المتباعدة . وهذا على كل حال شكل من أشكال ربط الدين بالتاريخ واهدائه ، تلك السمة المميزة للديانة اليهودية . ولا يتوقف اهتمام المصدر الكهنوتى بالتاريخ عند هذا الحد بل نجد أن هذا المصدر يحاول عرض ديانة بنى اسرائيل ومؤنساتها فى اطار التاريخ العالم . فهو

يقدم عرضاً تاريخياً متواصلاً من بداية الخلق الى السبيل معبراً عن الامن في العودة من المنفى (٤٥) ، وتميز تاريخه عيسارات خاصة مثل « هذه أجيال » و « هذا كتاب أجيال » . ونظراً لدقة المصدر الكهنوتي في عرض هذه التفاصيل التاريخية والتشريعية ظن بعض النقاد القدامى أن هذا المصدر يمثل العمل الاساسي الاقدم والاكثر صحة في بناء التوراة . ولكن نقاد القرن التاسع عشر ، امثال جراف وكوين وفلهاوزن ، اثبتوا عدم صحة هذا الرأي ، واعتبروا المصدر الكهنوتي آخر مصادر التوراة من حيث الترتيب الزمني واثبتوا هم ونقاد القرن العشرين أن محرري المصدر الكهنوتي هم المسؤولون عن تثبيت نصوص الكتب الاربعة الاولى من التوراة الحالية وهي كتب « التكوين » و « الخروج » و « اللاويون » و « العدد » .

رابعاً : المصدر التثنوي :

المصدر التثنوي هو أساس سفر التثنية ، الكتاب الخامس والاخير من كتب التوراة الحالية ومنه أخذ سفر التثنية اسمه ، والمقصود هنا تثنية القانون الذي تلقاه موسى عليه السلام في سيناء ، وتكملتها بالتشريعات المعطاه في مواب . ويطلق على هذه التشريعات في سفر التثنية اسم « تثنية التوراة » (٤٦) . ويؤكد النقاد أن المصدر التثنوي اعتمد على كتاب قديم عثر عليه في الهيكل ٦٢٢ ق م ، ويعود هذا المصدر الى الفترة ما بين ٦٠٠ و ٥٥٠ قبل الميلاد (٤٧) .

وأول ما يميز هذا المصدر محاولته التوفيقية بين المصدرين
الالوهيمي واليهوي ، وبين تراث الشمال وتراث الجنوب ، أي
تراث إسرائيل ويهوذا بعد انشقاق المملكة . فهو يحتفظ بالاتجاه
القومي . العنصري لليهوي ويضيف اليه المثالية الاخلاقية
للالوهيمي (٤٨) . ويعتقد بعض النقاد امثال ويلش وآلت وفون
راد أن تأثير الالوهيمي على التثنوي اكبر بكثير وأبعد عمقا من تأثير
اليهوي عليه ، ولهذا السبب فهم يميلون الى اعتبار التثنوي من نتاج
الشمال حيث ظهر الالوهيمي واحكم سيطرته (٤٩) .

ومن مظاهر تأثير الالوهيمي الواضحة على التثنوي استخدام
الآخير لألفاظ الالوهيمي ، واتصاف الاله بالعدالة والرحمة ،
وكذلك أخذه بالبركات واللعنات الالوهيمية حسب الوضع
الديني لبني إسرائيل ، وهو الوضع المتأرجح بين الاخلاص لله
ومعصيته (٥٠) . وبالإضافة الى هذا يعطى التثنوي من خلال
التراث الالوهيمي دورا كبيرا ورئيسيا لموسى عليه السلام في بناء
مفاهيم سفر التثنية . ويتضح أيضا التركيز على التجربة الشخصية
في الدين من خلال العلاقة الذاتية المباشرة بين الانسان والله . ومع
ذلك فهناك اختلافات واضحة بين التثنوي والالوهيمي أهمها عدم
اهتمام التثنوي بأبناء بني إسرائيل (ابراهيم - اسحاق - يعقوب
- يوسف واخوته) وتركيزه على موسى شخصيته الرئيسية ومحور
اهتمامه . أما عن تأثير اليهوي على نظرة التثنوي فيظهر في ربط
التثنوي بين الاله والشعب ، واعتبار بني إسرائيل «شعب الله» ، والتأكيد
على أخوة بني إسرائيل ، وحب الاله الغيور لهم ، ويؤكد على
امتلاكهم للأرض بحفظهم لوصايا الرب (٥١) ، الى غير ذلك من أفكار.

توضح تأثير اليهودي • وكما تأثر التثنوي بالمصادر السابقة عليه فقد ترك تأثيره الواضح على بعض كتب العهد القديم ، من بينها مجموعة الكتب التاريخية (من يشوع الى الملوك) ، وعلى اصلاحات نحيميا ، وآراء سفر أخبار الايام •

ملاحظات مقارنة في المصادر وعلاقتها الداخلية في نص التوراة :

بعد هذا العرض السابق لمصادر التوراة يبقى لدينا تعنيق حول العلاقات الداخلية لهذه لمصادر داخل نص التوراة حتى تتضح لنا بنية التوراة وهن نجح محرروها وكاتبو سادتها في اظهار التوراة كوحدة لا تعرف التجزئة ، أم فشلوا في ذلك ؟

ولتسهيل هذه المهمة يجب أن نتصور الوضع الذي بنيت التوراة الحالية على أساسه • فالمصادر المذكورة وغير المذكورة اعتمدت جميعها على مصدر أولى قد يكون هو النص الاصلى للتوراة ، ولكن في الغالب أنه مصدر قديم قريب العهد بنص التوراة الاصلى الموحى به • والاعتماد هذه المصادر على هذا المصدر القديم لم يكن اعتمادا سلبيا على طول الخط • فقد تم اخضاع هذا المصدر القديم للعديد من التعديلات والتغييرات التي تعبر عن وجهة نظر المصدر الجديد •

وفيما يختص بعملية تركيب مادة هذه المصادر ، وتوحيدها في عمل واحد ، فقد تمت هذه العملية التركيبية على مراحل

(م ٣ - علاقة الاسلام باليهودية)

متوالية تفصل بينها فترات زمنية مختلفة الطول والقصر ، ولكنها تصل جميعها الى ما يقرب من الالف عام ، ما بين تاريخ أقدم المصادر وأحدثها قبل تثبيت نص التوراة على الوضع الذى نعرفه اليوم . ونتصور أن هذه العملية تمت على النحو التالى : وجد كل مصدر جديد أمامه مادة قديمة تتبع مصدرا معينا أو أكثر من مصدر ، فحاول البحث عن مكان داخل نص التوراة لمادته الجديدة . وكان عليه بعد ذلك أن يوفق مادته الجديدة بالمواد القديمة التابعة للمصادر الأخرى ، ويقوم بعملية تحرير الهدف منها تحقيق وحدة النص بعد إضافة المادة الخاصة به . وعادة ما يكون صاحب المصدر الجديد ذا رؤية دينية تاريخية ، ولهذا نجده يغير من مواد المصادر السابقة عليه لكي تتناسب هذه الرؤية الخاصة به .

وعلى أساس هذا التصور السابق نستطيع أن نقول ان صاحب كل مصدر من مصادر التوراة هو مؤلف ومحرر فى نفس الوقت . فهو مؤلف لأنه صاحب مادة جديدة كتبها بنفسه ، أو وجدها ، وأراد إضافتها الى نص التوراة الموجود أمامه . وهو محرر لأنه جمع هذه المادة الجديدة الى مواد المصادر الأخرى فى شكل يجعل من العمل ، كما قلنا ، وحدة واحدة . وفى سبيل تحقيق هذا الهدف أجرى كثيرا من التعديلات بالحذف والإضافة والتصحيح والتبديل الى غير ذلك من الوسائل التى تمكنه من صيغ نص التوراة الصبغة المعبرة عن نظريته الدينية والتاريخية . ومن أهم مظاهر هذه العمليات التحريرية المتشابكة داخل نص التوراة أن النص فقد وحدته الأساسية ، وأصبح واضحا

للعين الناقدة أنه يركز من مجموعة أعمال ضمت الى بعضها البعض عن طريق عمليات تحرير دقيقة جدا لا يتمكن القارئ العادى من اكتشافها . وبالفعل تداخلت مواد المصادر فى النسيج العام للتوراة ، واصبحت تبدو كعمل واحد محكم فى نظر الانسان اليهودى المستخدم لها فى حياته الدينية ، وهكذا أيضا فى نظر الانسان المسيحى الذى يستخدم التوراة كجزء من الكتاب المقدس عنده ، والذى يضم العهد القديم والعهد الجديد . وهذا الاستخدام الدينى انبثقت للتوراة عند اليهودى والمسيحى يطغى فيه الشعور الدينى على التحليل العقلى فيجعله ذلك عاجزا عن كشف ما بها من اختلافات نصية وتناقضات فى المعنى ، وعن اكتشاف الطبيعة التركيبية للتوراة كعمل دينى .

وفيما يختص بعلاقات المصادر داخل نص التوراة نخرج بالנקاط التالية :

أولا : أن هناك مصدرا أساسيا هو المحور الذى تدور حوله بقية المصادر ، وأن مادة هذا المصدر القديم قد أوشكت على الضياع بسبب كثرة ما تعرضت له من عمليات تحرير على يد المصادر حتى أصبح من الصعب التعرف عليها فى النص الحالى للتوراة .

ثانيا : أن المصادر المختلفة للتوراة يجب النظر اليها على أنها مدارس دينية تاريخية تعبر عن اتجاهات دينية وتاريخية ، وربما اقتصادية واجتماعية أيضا . فمادة هذه المصادر لا يمكن نسبتها الى شخص بعينه ، ولكنها من عمل جماعات من رجال

المدین اليهود ، تنتمى الى فترات تاريخية متباينة ، وتعبّر عن وجهات نظر ورؤى خلاصة فى التراث اليهودى دينا وتاريخا .

ثالثا : أن كل مصدر جديد يحاول تحديد مكان لمادته داخل البناء العام للتوراة ، ويحاول فى نفس الوقت صيغ مادة التوراة بالصيغة التى يراها ، ويتم ذلك عن طريق الحذف والاضافة والتغيير فى النص باللفظ والمعنى . ولذلك نتوقع أنه مع كل ظهور لمصدر جديد كانت تتم اعادة صياغة التوراة بشكل عام حتى تظهر وكأنها ممثلة تماما لرؤية أصحاب المصدر الجديد .

رابعا : أن آخر المصادر هو أكثرها تأثيرا على الشكل العام للتوراة فى بناءها الاخير . فمن الطبيعى أن أصحاب هذا المصدر يحاولون اضعاف تأثير المصادر السابقة من أجل اظهار مادة مصدرهم ، وجعلها المصدرة لاتجاه بقية المصادر بل واتجاه التوراة ككل . ولهذا فاشكل الحالى للتوراة هو من عمل المصدر الاخير وهو المصدر الكهنوتى الذى حرر أصحابه مادة الاسفار الخمسة ، ورتبها على الشكل الذى نعرفه الان ، وثبتوا نصوص التوراة . ولا يعلم مدى التغيير الذى أصاب نص التوراة على يد المحرر الكهنوتى ، ولكن من المؤكد أنه قام بأكثر عملية تغيير ممكنة فى بناء التوراة بهدف تثبيت نصها من ناحية ، وتأكيد رؤيته الخاصة وإبرازها من ناحية أخرى . وعلى الرغم من أن المحرر الكهنوتى حاول التوفيق بين المصادر السابقة وبالذات بين اللاهيمى واليهوى إلا أنه جعل من نفسه المنافس لهما فى المكانة ، وفى طبيعة المادة الجديدة التى أضافها الى

التوراة • والحقيقة أن التوراة في وضعها الحالي معبرة عن رؤية واضعى المصدر الكهنوتى اذ تضاعفت أهمية المصدرين الالهيمى واليهوى عن طريق عملية التوفيق بينهما التى مارسها المحررون من رجال الكهنوت •

خامسا : أنه من الصعب الوصول الى ترتيب تاريخى حقيقى لمصادر التوراة على الرغم من جهود النقاد فى هذا السبيل • والسبب الرئيسى فى ذلك يعود الى أن أصحاب هذه المصادر لهم رؤيتهم الخاصة فى ماضى التاريخ الاسرائيلى ومستقبله ، ولهم أيضا رؤيتهم فى طبيعة الديانة اليهودية ، ولذلك فكثيرا ما نجد محاولات لصياغة الحاضر والمستقبل من خلال رؤية قديمة معينة ، أو إعادة وضع دينى قديم من خلال استخدام الالفاظ وأساليب كانت مستخدمة من قبل • وقد سببت هذه الظاهرة نوعا من الخلل الواضح وعدم الاتزان فى لغة وأسلوب نص التوراة ، حيث صيغت عبارات من الماضى فى زمن متأخر ، وأضيفت على أنها قديمة ، كما حدثت بعض المادة القديمة • ولعل من أبرز هذه العمليات كتاب العهد (الخروج ٢٠ : ٢٢ - ٢٣ : ٣٣) الذى يعتبره بعض النقاد من أقدم مصادر التوراة ، ولكنه لم يضاف الى نص التوراة الا متأخرا • ومن ذلك أيضا محاولة محررى المصدر الكهنوتى ربط القديم بالحديث من التشريعات الكهنوتية بخيط تاريخى رقيق للدلالة على قدم هذه التشريعات واستمراريتها فى نفس الوقت ، مع أن الكثير منها حديث العهد ، ومن تصنيف محررى المصدر الكهنوتى أنفسهم •

سادسا : انه بصرف النظر عما اذا كانت المصادر تعود الى عمل أشخاص مستقلين ، أو من عمل مدارس دينية فان هناك علاقات تاريخية دينية تربط هذه المصادر ، ولكن هذا الربط لا يصل بها الى درجة الوحدة العضوية بسبب التعارض الواضح فى الهدف والرؤية . وهنا يأتى المصدران اللوهمى واليهوى على قائمة المصادر من حيث التعارض والتناقض فى الآراء والمفاهيم . ويتحدد موقف المصادر الاخرى بالاقتراب أو الابتعاد من أحد هذين المصدرين على حساب المصدر الآخر ، أو بالتوفيق بينهما ، كما لاحظنا بالنسبة للمصدرين التثنوى والكهنوتى .

البحث الثالث

رؤية اسلامية في مصادر التوراة الحالية

بعد هذا الوصف التحليلي للتوراة الحالية ومصادرها نعود الى نقطة بحثنا الاساسية ، وهى علاقة الاسلام باليهودية ، وكيفية تحديد هذه العلاقة فى ضوء النتائج التى وصلت اليها حركة نقد التوراة . ويجب أن نشير فى البداية الى ان هذا الموقف النقدي ليس بجديد على المسلمين . فقد كان القرآن الكريم دليلا للعلماء المسلمين فى جهودهم الخاصة بنقد التوراة ، حيث قدم القرآن الكريم أول صورة نقدية اسلامية للتوراة ، وأعطى أصولا علمية منهجية لنقدها تمكن علماء تاريخ الاديان المسلمون عن طريقها من الوصول الى نتائج باهرة فى هذا المجال تضاهى نتائج حركة نقد التوراة فى عصرنا الحالى . ويحتاج التراث الاسلامي فى نقد الكتابات المقدسة عند اليهود والمسيحيين الى عناية كبيرة من الدارسين المسلمين لتوضيح منهجه واتجاهاته النقدية . وهذا النوع من الدراسات لا يهتم به المستشرقون كثيرا ، ولا يودون نشره أو ترجمته نظرا لما فيه من نقد علمي صريح للتوراة والانجيل . ولهذا فمهمة الخروج بهذا التراث الى دائرة الضوء تقع على عاتق العلماء المسلمين . ولا يجب أن نكتفى ببحث هذا التراث باللغة العربية فقط ، ولكن يجب ترجمته وتقديم أبحاث فيه باللغات الاوربية لما فى ذلك من فائدة للإسلام والدعوة اليه ،

وتوضيح منجزات المسلمين الأوائل في الدراسات النقدية الدينية ،
والتي سبقت جهود الغربيين بعدد من القرون .

الموقف النقدي الاسلامي من التوراة الحالية :

الموقف الاسلامي من التوراة الحالية واضح وصريح . ويقوم
هذا الموقف على عدد من المبادئ النقدية الأولية التي لا تقبل أى
تغيير من أهمها :

أولاً : الاعتراف بوجود توراة أصلية موحى بها من عند الله
سبحانه وتعالى ، وتلقاها النبي موسى عليه السلام ، وأن هذه
التوراة اختلف فيها وتعرضت لكثير من الوان التغيير والتبديل في
نصوصها استناداً الى قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وأنهم لفي شك
منه مريب » (سورة هود ١١٠) .

ثانياً : أن هذه التوراة الأصلية لا وجود لها فقد تعرض
نصها لكثير من التعديلات التي ضيعت ملامحه الرئيسية استناداً
الى التحدى الالهى الذى اعلنه القرآن الكريم على النحو التالى :
« قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين . فمن افترى على الله
الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون » (سورة آل عمران ٩٤)
وكذلك قوله تعالى : « وأن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالمكتاب
لنحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله
وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » . (سورة
آل عمران ٧٨) .

ثالثا : عدم الاعتراف بوجود نسخ متعددة للتوراة كالنسخة السامرية أو غيرها ، كما هو الحال في رفض الأناجيل المتعددة والاعتراف بوجود انجيل واحد أصلي .

رابعا : الاعتراف بوجود مصادر انسانية عرقت طريقها الى نص التوراة واختلطت بالمصدر الالهي لها استنادا الى قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (سورة آل عمران ٧٩) . وكذلك قوله تعالى « فبذل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم » (سورة البقرة ٥٩) . وكذلك أيضا قوله تعالى : « أفقتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (سورة البقرة ٧٥) .

خامسا : أن دخول المصادر الانسانية الى نص التوراة هو السبب الاول والاخير للاختلاف فيها . وهذا المبدأ النقدي قد أقره القرآن الكريم في قوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (سورة النساء ٨٢) .

وبدائل التفسير النصي للتوراة بحسب التصور القرآني :

كما سبق القول ، أكد القرآن الكريم على تدخل البعد الانسانية في نص التوراة الأصلية الموحى بها من عند الله سبحانه وتعالى . وقد عكف علماء نقد التوراة المسلمون - قديما وحديثا على دراسة نص التوراة الحالي من أجل الوصول الى تحديد هذا

المصدر الانساني . وقد اتخذ هؤلاء العلماء من القرآن الكريم دليلهم
النفدي الاول ، والمقياس النفدي الذي يمكن عن طريقه معرفة ما هو
من الوحي ، وما هو من غير الوحي في نص التوراة . وساعد على
ذلك أن القرآن الكريم قدم للناقد المسلم أشكالا متعددة لامكانية
تطبيق النقد النصي المصدري على التوراة ، وأعطى وسائل كثيرة
لاحداث التغيير في نص التوراة نذكر منها على سبيل المثال
التحريف ، والتبديل ، والنسيان ، والاختفاء ، والظن الى غير ذلك
من وسائل التغيير في النص المقصودة وغير المقصودة . ولاشك
في أن هذه الوسائل تختلف في درجة ما تحدثه في النص من
تغيير . ولعل اقواها وأكثرها تلاعبا بالنص وتغييرا في معناه
ما ذكره القرآن الكريم باسم التحريف والتبديل . والتحريف عملية
تجرى على النص من أجل تغيير معناه وذلك عن طريق نقل
كلمات من أماكنها كما تشير الى ذلك الآية : « يحرفون الكلم عن
مواضعه » (المائدة ١٣) ، وكذلك قوله تعالى : « يحرفون الكلم
من بعد مواضعه » (المائدة ٤١) ، أما التبديل فهو تبديل معنى
بمعنى آخر ، أو تبديل قول بقول ، كما يتضح من قوله تعالى :
« فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم » (البقرة ٥٩) . وكذلك
قوله تعالى : « فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين
يبدلونه أن الله سميع عليم » (البقرة ١٨١) . وكما قلنا فالتحريف
والتبديل من أخطر انواع التغيير التي تحدث للنص ، ففي حالة نص
التوراة يتحول النص بفعل التحريف والتبديل الى نص انساني
أو ، على أقل تقدير ، يصبح نصا مختلطا اختلط فيه النص

الاصلى الالهى الموحى به بالعنصر الانسانى الدخيل عليه فغير
من ملامحه ومعناه تغييرا ملحوظا .

والى جانب التحريف والتبديل ، هناك وسائل اخرى ذكرها
القرآن الكريم لا تقل خطورة فى تأثيرها عن التحريف والتبديل ،
وان كانت لا ترتفع الى درجة التحريف والتبديل فيما يتعلق بما
تحدثه بالنص من تغيير . فاصحاب هذه الوسائل آثروا عدم
التلاعب بالنص ، أو الاقتراب منه بالتغيير فيه ، ولكنهم اكتشفوا
وسائل اخرى تحقق الغرض المنشود دون الحاق أى تغيير فى
النص الاصلى . ومن هذه الوسائل يذكر القرآن الكريم ما يلى :

١ - الاخفاء : كما يبدو من قوله تعالى : « تجعلونه قراطيس
تبسونها وتخفون كثيرا » (الانعام ٩١) . وكذلك قوله تعالى :
« يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفوا عن كثير » (المائدة ١٥) .

٢ - الكتمان : كما يتضح فى قوله تعالى : « الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون » (البقرة ١٤٦) وكذلك قوله تعالى : « واذ أخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليقيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء
ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ،
(آل عمران ١٨٧) .

٣ - اليباس الحق بالباطل : كما فى قوله تعالى : « يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون »

(آل عمران ٧١) • وكذلك قوله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » (البقرة ٤٢) •

٤ - الكذب والتكذيب : كما يتضح فى قوله تعالى : « قل فأتىوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين • فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون » (آل عمران ٩٣ - ٩٤) •
وسنه أيضا قوله تعالى : « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (آل عمران ٧٨) •

٥ - لوى الألسنة بالكتاب : « فى قوله تعالى : « وإن منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (آل عمران ٧٨) •

٦ - التعطيل : المقصود تعطيل أحكام التوراة وعدم إقامتها كما يتضح فى قوله تعالى : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة معتصدة وكثير منهم ساء ما يعلمون » (المائدة ٦٦) • وكذلك قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين » (الجمعة ٥) وقوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم » (المائدة ٦٨) •

٧ - الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض : كما يتضح في قوله تعالى : « أفتمنّون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » (البقرة ٨٥) .

٨ - الاهمال : كما يتضح في قوله تعالى : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما سمعهم تبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » (البقرة ١٠١) . وكذلك قوله تعالى : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » (آل عمران ١٨٧) .

٩ - الظن : كما يتضح في قوله تعالى : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (البقرة ٧٨ - ٧٩) .

١٠ - النسيان : ويتضح في قوله تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » (المائدة ١٣) .

وتوضح هذه الوسائل مجتمعة الطرق التي تحولت بها التوراة من نص الهى الى نص انسانى خطبه رجال الدين اليهود بأيديهم . ويجب أن نذكر هنا أن هذه الاشارات النقدية القرآنية

تقرر بتعدد مصادر التوراة ، وأنها فى شككها الحاسى لم تعد تمثل الوعى بسبب تدخل اليد الانسانية فى بنائها . وقد وصلت حركة نقد التوراة فى الغرب اخيرا الى هذه النتيجة التى نشرها التران الكريم منذ أربعة عشر قرنا . ولا نعجب اذا عرفنا أن معظم المصطلحات النقدية القرآنية ووسائل التغيير النصى التى ذكرناها سابقا أصبحت من مقومات المنهج النقدى لتوراة الذى تبناه علماء نقد الكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد) منذ القرن التاسع عشر الميلادى . ويحتاج الامر الى دراسة مدى تأثير الدراسات القرآنية والاسلامية على التفكير النقدى الغربى خلال القرنين الماضيين ، فنحن نعتقد أن كثيرا من المستشرقين قد ساهم فى تعريف علماء نقد الكتاب المقدس بالتصور النقدى القرآنى والمنهج الذى طوره القرآن الكريم فى نقد الكتابات اليهودية والمسيحية . هذا بالإضافة الى أن بعض كبار علماء نقد الكتاب المقدس كانوا انفسهم من المستشرقين المهتمين بالدراسات الاسلامية ، ولاشك فى أنهم تأثروا الى درجة كبيرة بحركة النقد الاسلامية للكتابات اليهودية والمسيحية . ولا نريد أن ندخل فى عملية احصاء لهؤلاء المستشرقين ، ولكن يجب أن نكتفى بذكر أن مؤسس حركة النقد الحديثى وواضع أسسها ، ومكتشف ومطور نظرية مصادر التوراة يوليوس فلهاوزن هو أحد كبار المستشرقين المتخصصين فى الدراسات العربية القديمة والدراسات الاسلامية (٥٢) . وفلهاوزن هو الذى وجه حركة نقد الكتاب المقدس وتركت نظرياته وأفكاره أثرها الدائم والعريق فى كل ما

أنتجته هذه الحركة من فكر حتى وقتنا الحالى • ونرى ضرورة ان يهتم الباحثون المسلمون بتوضيح أثر منهج النقد القرآنى للكتابات اليهودية والمسيحية وأثر كتابات العلماء المسلمين النقدية فى هذا المجال على علماء الغرب من المستشرقين الذين تأثروا بطريق مباشر ، وغير المستشرقين من النقاد الذين وصلهم التأثير بوسائل غير مباشرة • ولعل هذا الجانب من الدراسات يلقى الضوء على صفحة مجهولة من صفحات تأثير الفكر الإسلامى على الفكر الدينى الغربى فى عصر طغت فيه افكار الغرب ونظرياته على تفكير المسلمين •

النقد الإسلامى لمصادر التوراة :

حاولنا فى العرض السابق لمصادر التوراة أن نوضح اتجاهات هذه المصادر والعلاقات الداخلية بينها فى نص التوراة • واستنادا الى ما قدمناه من معلومات عن هذه المصادر نحاول الآن بالورة الموقف الإسلامى من هذه المصادر ، وما تقدمه من رؤى تاريخية ودينية • ويجب أن ننسوه فى البداية الى أننا لن نسير على الترتيب الذى وضعناه سابقا لهذه المصادر بل سنجعل أولها فى العرض السابق (المصدر الألوهيمى) آخرها فى هذا الجزء من الدراسة الخاصة بتحديد الموقف النقدى الإسلامى ، والسبب فى ذلك يرجع الى النتيجة النهائية التى وصلنا إليها فى هذه الدراسة وهى : أن المصدر الألوهيمى يعتبر أقرب مصادر التوراة اتفاقا مع الرؤية الإسلامية للتاريخ والسدين اليهودى • ولهذا أثرنا أن نجعله فى نهاية هذا العرض للموقف النقدى

الاسلامى . ويجب أن نشير أيضا الى أن هناك مصادر أخرى
فرعية لم نفرد لها ذكرا مستقلا نظرا لانها متأثرة الى حد كبير
بنظرة أحد المصادر الرئيسية الاربعة .

وفيما يتعلق بالمصدر اليهودى فان الرؤية الدينية الاسلامية
تنكر على أصحاب هذا المصدر ما يلى :

أولا : محاولة ربط الدين بالقومية . فقد وقفت هذه المحاولة فى
وجه فكرة عالمية الدين التى أكدها الاسلام ، وأدت بالتوحيد اليهودى
الى أن يكون توحيدا غير خائص حيث خصص التوحيد ، وأصبح
الاله الواحد الها لليهود فقط ، وتم الاعتراف بوجود آلهة
أخرى مع تحريم عبادتها على الاسرائيليين . وهذا يعنى العودة الى
العلاقة الدموية العصبية الرابطة بين الشعوب وانتهتها كما كان
الحال فى ديانات العالم القديم .

ثانيا : ومن ناحية أخرى يرفض الاسلام رفضا باتا ربط
التفكير الدينى بالطبيعة وعناصرها ، وتطوير العقيدة وطقوسها
وربطها بالمواسم والدورات الزراعية ، وبالتالي سيطرة الطبيعة
ومعطياتها على التفكير الدينى ، وما يمثله ذلك من ردة الى أوضاع
دينية قديمة تم التحرر منها عن طريق التوحيد الذى نقل الانسان
من عالم الطبيعة وعناصرها الى عالم ما وراء الطبيعة ، وارتقى
بالتفكير الانسانى وخلّصه من قيود الطبيعة والمادة ، وجعل من
الوحى الالهى والعقل المفسر لهذا الوحي مصادر المعرفة الدينية
عند الانسان بعد أن كانت الطبيعة مصدره الاساسى . ويجب أن

نذكر هنا أن ارتباط التفكير الدينى بالطبيعة قد أدى الى تطور مرفوض اسلاميا وهو طغيان النظرة التجسيدية على مفهوم الالهية حسب الرؤية اليهودية .

ثالثا : وبالإضافة الى ذلك ، يراض الاسلام النظرة العنصرية الطاغية على تفكير المؤرخ اليهودى . ومن أهم معالم هذه النظرة الربط بين الشعب والارض والله فى ثلاث قومي عنصري لا ينفك ، وقد أدت هذه النظرة الى الامتناع عن انتبشير بالتوحيد فى عالم الشرق الأدنى القديم ، ووضع القيود القومية العرقية المانعة لغير اليهود عن الدخول فى اليهودية ، وتحويل الاهتمام من التراث السينائى (نسبة الى سينا) تراث الوحى والتوحيد الخالص الى تراث ما يسمى بـ « أرض اسرائيل » . وهذا المصطلح « أرض اسرائيل » من خلق المصدر اليهودى وهو يعبر بكل قوة عن الشعور القومى العنصرى الذى اتصف به التفكير اليهودى ، والذى أصبح سمة مميزة . من سمات الديانة اليهودية .

أما عن المصدر التثنوى فهو يمثل أحد المصادر المتأثرة بنظرتى المصدرين اليهودى والالوهيمى ، ولذلك فقد جمع فى بنائه بين بعض سلبيات وإيجابيات هذين المصدرين . ويرفض الاسلام تأثر اصحاب هذا المصدر بالنظرة القومية العنصرية للرؤية اليهودية لنفس الاسباب التى سبق ذكرها فى نقد المصدر اليهودى . ومع ذلك فهناك آراء تثنوية تجد قبولا وترحيبا من وجهة

(م ٤ - علاقة الاسلام باليهودية)

النظر الإسلامية . ومن بين هذه الآراء اتخاذ المصدر التثنوى موقفا مضادا لفكرة مركزية العبادة التي أخذ بها كهنة اورشليم . وكان هذا في محاولة للحد من سيطرة هؤلاء الكهنة ، وفتح الباب امام كل الكهنة الانلاويين للاشتراك في الخدمة الدينية في الهيكل أو خارجه . ومن الامور الاخرى المقبولة اسلاميا تاثير المصدر التثنوى بالرؤية الاخلاقية للمصدر الانوعيمي .

وبالنسبة لتحديد الموقف الاسلامي من المصدر الكهنوتي فهو اكثر هذه المواقف شدة ورفضنا نظرا لان الوضع الحالي في اليهودية يعود الى عمل الكهنة باعتبار المصدر الكهنوتي آخر مصادر التوراة . واكثرها تأثيرا على الوضع الحالي للتوراة واليهودية بشكل عام . ومن أهم مآخذ النظرة الاسلامية على المصدر الكهنوتي تلك الصبغة الكهنوتية الاساسية المميزة له ، وتحول الجماعة اليهودية بتأثير أصحاب هذا المصدر الى جماعة كهنوتية . وكان من نتائج هذا التحول منح رجال الدين اليهود سلطة مطلقة في شؤون الناس ، وقيامهم بدور الوساطة بين الله والبشر ، وقتلهم لروح العلاقة المباشرة بين الانسان والله ، وتعقيدهم للطقوس والشعائر حتى يصبح تفسير رموزها حكرا عليهم ، وتجميدهم للشريعة اليهودية ، وتكليفهم الناس ما لا يطبقونه من الواجبات والفروض الدينية ، واهتمامهم بالمظاهر الشكلية للدين ، واهمالهم للآيمان الحقيقي والاخلاص في علاقة الانسان بخالقه . وقد تسبب رجال الكهنوت في اجهاض الروح الدينية في اليهودية ، ومحو التجربة الذاتية في الدين . وقد كان لهذا

تأثيره السلبي على الحياة الدينية اليهودية ، ففقدت الروح الدينية الخالصة وانتهت التنافسية في العبادة ، وتحولت الديانة اليهودية على أيدي الكهنة الى مجموعة من الافعال والطقوس الدينية المعقدة الخالية من الروح والايمان . ويراض الاسلام هذا الاتجاه بالدين الى الكهنوتية ، وخلق طبقة وراثية من رجال الدين تتمتع بالتبجيل والتقدیس المنافی لروح التوحيد .

المصدر الألوهي أقرب مصادر التوراة الحالية الى الرؤية الإسلامية لليهودية .

اتضح من التحليل السابق التعارض الواضح بين المصدر الألوهي والمصدر اليهودي وإذا كان الموقف الإسلامي من المصدر اليهودي موقفا متشددا رافضا للأراء والاتجاهات الدينية اليهودية للأسباب السابقة الذكر ، فإن الموقف الإسلامي من آراء المصدر الألوهي تتصف بالإيجابية نظرا لما تبناه أصحاب هذا المصدر من أفكار دينية قريبة من التصور الإسلامي العام لليهودية . وبعبارة أخرى فإن يهودية المصدر الألوهي والأجزاء الخاصة به في التوراة تعطينا أقرب التصورات اليهودية للرؤية الإسلامية لليهودية . ويمكننا احصاء وجوه اقتراب المصدر الألوهي من التصور الإسلامي فيما يلي :

أولا : اهتمام المصدر الألوهي بطاعة الله الواحد ، وحضه على الابتعاد عن الشرك والوثنية ، وتأكيده دور الوحي والنبوة .

ثانيا : اتفاق المصدر الالوهيمى مع النظرة القرآنية فيما يتعلق بفكرة الاختيار الالهى لبني اسرائيل . فالاختيار تم لسبب دينى ، وهو اخلاص العبادة لئله الواحد ، والعمل على نشر رسالة التوحيد . وينكر هذا المصدر الفكرة اليهودية التى تربط بين الاله والشعب وتفسر الاختيار تفسيراً عنصرياً يجعل من الاله الواحد الها لبني اسرائيل فقط . ومن هنا فحق الاختيار يسقط اذا نكث بنو اسرائيل بعهدهم الخاص بتوجيه العبادة لئله الواحد ونشر التوحيد . وبهذا يكون الاختيار مشروطاً بتذكر عهد الله وميثاقه . ويقول القرآن الكريم فى هذا الخصوص : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين » (البقرة ١٢٢) . وفى آية ثانية يقول : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واني اهابون » (البقرة ٤٠) والآيتان هنا تؤكدان على الاختيار الالهى ، وفكرة العهد الالهى ، أو الميثاق المذكور فى بعض الآيات القرآنية الأخرى مثل : « واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله » (البقرة ٨٢) . ويشير القرآن الكريم الى النقض المستمر للعهد بقوله : « أو كنما عاهدوا عهداً نبذ فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون » (البقرة ١٠٠) . وهكذا نجد القرآن الكريم يؤكد على الاختيار الالهى وتنزيل بني اسرائيل طالما كانوا متمسكين بعهد الله ومضمونه : اخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وعدم الاشراك به .

ثالثا : تميز المصدر الالوهيمى على غيره من مصداير التوراة بتركيزه على الجانب الاخلاقى فى الدين وضرورة تمسك

بنى إسرائيل بالمبادئ والوصايا الأخلاقية الإلهية . وقد اتضح من عرضنا للمصدر الأنوعيمي تركيزه على الجوانب الأخلاقية فيما يتعلق بواجبات الإنسان تجاه الله سبحانه وتعالى ، وتجاه الجار وممتلكاته ، وقد اشتملت الوصايا العشر على جانب كبير من الوصايا الأخلاقية (٥٣) . ووضع هذا المصدر القوانين المنظمة لعلاقة الإنسان بالإنسان ، وأضفى بعدا أخلاقيا على الوحي والشريعة ، وجعل صفتها الأخلاقية أكبر وأعظم من صفتها الطقوسية العقائدية . وبالإضافة الى هذا فإن مسائل كثيرة في الدين والتاريخ اليهودي فسرها المصدر الألوهيمي وعللها تعليلا أخلاقيا . ومن أهمها مسألة اختيار يعقوب عليه السلام ، ومصادلة الفضل في غزو الجنوب ، كما أن رؤيته في قصة يوسف رؤية أخلاقية في المقام الاول .

وقد تعرض القرآن الكريم بالتفصيل لنقد الأوضاع الأخلاقية لبنى إسرائيل وهو أمثلة لنقد القرآن الكريم لأوضاعهم الدينية بشكل عام . ويرتبط النقد الأخلاقي بالنقد الديني أوثق ارتباط في الاعتبار نكث بنى إسرائيل للعهد الله معهم جرما أخلاقيا وليس مجرد عدول عن التوحيد وانحراف عنه . بل نجد الميثاق يربط بين التوحيد والأخلاقيات ربطا عضويا لا يسمح بالفصل بينهما في قوله تعالى : « وإن أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون . وإن أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون » (البقرة ٨٢ -

٨٣) • ويواصل القرآن الكريم نقده الأخلاقي لبني إسرائيل لما ارتكبوه من أخطاء أخلاقية في حق الله وحق جيرانهم وأنفسهم • ومن هذه الآيات قوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » (البقرة ٤٤) • وقوله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » (البقرة ٤٢) • وكذلك قوله تعالى : « ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون » (البقرة ٤١) وقوله تعالى : « ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » (الاسراء ٧) الى غير ذلك من الآيات التي جعلت هدفها تقويم السلوك الاخلاقي لبني إسرائيل ، وربط هذا السلوك بالدين والعقيدة •

رابعاً : يتفق المصدر اللوهمي أيضا مع النظرة القرآنية في تكريم هذا المصدر لأنبياء بني إسرائيل ، والأخذ بأفكارهم الدينية والاخلاقية • وقد اقترب بهذا من الموقف القرآني من الانبياء بشكل عام. ومن أنبياء بني إسرائيل بشكل خاص • وقد نقد القرآن الكريم بني إسرائيل نقدا صريحا فيما يتعلق بموقفهم من انبيائهم واعتراضهم عليهم ، وعدم اتباعهم للإصلاحات الدينية والاخلاقية التي جاءوا بها • ومن أمثلة هذا النقد القرآني قوله تعالى : « ٠٠ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (البقرة ٨٧) • وكذلك قوله تعالى : « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا. نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم • قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين » (البقرة ٩١) • ومنه قوله تعالى : « ٠٠

وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (البقرة ٦١) . وتؤكد هذه الآيات على موقف بنى اسرائيل المعارض للأنبياء ورفضهم للرسالاتهم وقتلهم للأنبياء اذا ما أصروا على اصلاحاتهم الدينية والاخلاقية .

ومما لاشك فيه أن المصدر اللوهمي متأثر برؤية الأنبياء الدينية والأخلاقية ، ومنه انتقل هذا الاهتمام بالأنبياء الى غيره من المصادر ولهذا فقد اعتبر النقاد المصدر اللوهمي بداية الحركة النبوية عند بنى اسرائيل (٥٤) . وقد عزل علماء النقد كثيرا من مظاهر اهتمام المصدر اللوهمي بتراث الأنبياء وحركتهم ؛للاصلاحية . ومن أهم هذه المظاهر نجد :

١ - انفراد المصدر اللوهمي بالاعتراف بنبوة ابراهيم عليه السلام (التكوين ٢٠ : ٧) . وقد اعتبره المصدر اليهودي مجرد أب من الآباء الاسرائيليين . وقد جعل المصدر اللوهمي الوعد الابراهيمي بداية للتاريخ وهذا دليل أهمية نبوة ابراهيم عليه السلام واعتبارها بداية حركة النبوة (٥٥) .

٢ - الحكم الذى أصدره المصدر اللوهمي بالنسبة لمصير بنى اسرائيل متأثر بحكم الأنبياء عليهم .

٣ - رغبة المصدر اللوهمي فى أن يكون كل بنى اسرائيل أنبياء . وهذا يعنى الاقتناع القام برسالات الأنبياء واصلاحاتهم .

٢ - تأكيد المصدر الألوهي على مفاهيم التوبة والندم والاستغفار (الخروج ٣٣)

ولاشك ان هذه المظاهر تتفق مع التصور القرآني حيث نجد القرآن الكريم يؤكد على نبوة ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى : « واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا » (مريم ٤١) . ويؤكد على التوبة والندم والاستغفار بالنسبة لبني اسرائيل وضرورة رجوعهم عن المعصية وعودتهم الى الله في قوله تعالى : ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلك في الحية الدنيا وكذلك نجزي المقترين . والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها واسئوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » (الاعراف ١٥٢ - ١٥٣) . وكذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : « انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين » . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك . » (الاعراف ١٥٥ - ١٥٦) .

خامسا : تتفق نظرة المصدر الألوهي والقرآن الكريم فيما يتعلق بمفهوم العقاب الالهي المدمر لبني اسرائيل بسبب عصيانهم المتواصل لانبيائهم ونقضهم للعهود ، وارتيابهم للمعاصي الدينية والاخلاقية . وقد تعددت أشكال العقاب الالهي لبني اسرائيل نذكر منها - على سبيل المثال - الشتات في قوله تعالى : « وقطعناهم في الارض اثمنا . » (الاعراف ١٦٨) . وكذلك قوله تعالى في الآية السابقة على هذه الآية : « واذ تاذن ربك ليعيثن عليهم اني يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب

واته لفسور رحيم (الأعراف ١٦٧) . وفي هذا الخصوص يجب أن نذكر أن المصدر الألوهيمي قد اعتبر الشتات عقابا الهيا لبني اسرائيل ، كما اعتبر الامم الاجنبية أسواطا مسلطة على بني اسرائيل بسبب عصيانهم ورفضهم للأنبياء (٥٦) . ونقرأ في القرآن الكريم : « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب نفوسنا في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبدا فآبأ أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » (الاسراء ٤ - ٥) . وبالإضافة الى الشتات ، حرم الله عليهم كثيرا من الطيبات : « فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ويصدهم عن سبيل الله كثيرا . ونخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما » (النساء ١٦٠ - ١٦١) . وكذلك حكم الله عليهم بالذلة في الحياة الدنيا : « أن الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين » (الأعراف ١٥٢) . وكذلك قوله تعالى : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة . » (البقرة ٦١) .

وبالإضافة الى هذه العناصر الأساسية التي يتفق فيها المصدر الألوهيمي مع النظرة القرآنية هناك أيضا بعض الأفكار والاحداث الفرعية التي نجد فيها اتفاقا بين المصدر الألوهيمي والرؤية القرآنية . ومن بين هذه الامور ما يلي :

اولا : اتخاذ المصدر الألوهيمي موقف التصحيح للمصادر السابقة عليه ، وبخاصة المصدر اليهودي . وهو بهذا يقترب في

نزعتة التصحيحية من رغبة الاسلام فى تصحيح التراث الدينى السابق عليه . ومع ذلك فهناك فارق أساسى بين النزعتين التصحيحيتين . وهذا الفارق هو خصوصية النزعة التصحيحية اللاهيمية فى مقابل عالمية النزعة التصحيحية القرآنية . فالتصحيح اللاهيمى خاص بالتراث الدينى اليهودى بينما التصحيح القرآنى الاسلامى خاص بكل التراث الدينى للبشرية بما فيه التراث الدينى اليهودى نفسه . وفى الحقيقة يمكننا هنا مقارنة المصدر اللاهيمى فى نزعتة الاصلاحية بالمذهب البروتستانتى فى المسيحية والذى كان هدفه تصحيح التراث الدينى المسيحى السابق عليه .

ثانيا : استخدام المصدر اللاهيمى للفظه « الوهيم » لندلالة على لفظ الجلالة بدلا من كلمة « يهوه » التى استخدمها المصدر اليهودى . ولفظة « الوهيم » تقترب بلاشك فى معناها ومعناها من لفظة « الاله » ومن اسم الجلالة « الله » وتتصف لفظة « الوهيم » عن لفظة « يهوه » بالشمولية نظرا لان « يهوه » لا تدل الا على صفة واحدة من صفات اللاهوية وهى صفة « الوجود » (٥٧) .

ثالثا : هناك نقطة فرعية أخرى يقترب فيها المصدر اللاهيمى من الموقف القرآنى ، وهى النقطة الخاصة بتوجيه اللوم والعتاب الى هارون عليه السلام بسبب عجزه عن الوقوف فى وجه بنى اسرائيل اثناء غياب موسى عليه السلام ساعة تلقيه الوحي الالهى فى سيناء . وقد عاد القوم الى وثنيتهم وصنعوا لهم عجلا ذهبيا لعبادته . ويذكرنا هذا بالحوار الذى ورد فى القرآن الكريم بين موسى وهارون عليهما السلام ، والذى يعاتب فيه موسى عليه

السلام أخاه هارون عليه السلام : « قال يا هارون ما منعك أن رأيتهم ضلوكا » . لا تتبعن أفعصيت أمرى . قال يا بنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى » . (طه ٩٢ - ٩٤) . وفى موضع آخر من القرآن الكريم يرد ذكر غضب موسى عليه السلام والقائه الالواح بعد أن رأى عودة قومه بنى اسرائيل ، وردتهم الى العبادة الوثنية وعتابه لآخيه هارون عليه السلام : « ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بثسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » . قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » . (الاعراف ١٥٠ - ١٥١) . ورغم هذا العتاب لم ينتقص القرآن الكريم من مكانة هارون عليه السلام وتبوته ، ويؤكد جهوده فى اثناء القوم عن الوثنية والشرك : « ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لئن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى » . (طه ٩٠ - ٩١) .

رابعا : يتفق المصدر الالوهيمى مع النظرة القرآنية فيما يتعلق بتوجيه الاهتمام الى مهبط الوحى الموسوى فى أرض سيناء بعكس المصدر اليهودى الذى لا يهتم بموقع الوحى الالهى ويركز اهتمامه على ما يسميه « أرض اسرائيل » وهكذا يعتبر المصدر الالوهيمى (حوريب) فى سيناء مسكنا للاله حيث تلقى موسى الوحى الالهى ، بل ويذهب المصدر الالوهيمى الى حد كراهية « كنعان » وأفكارها

الطبيعية ويركز على تراث موسى المرتبط بالصحراء . وقد أكد القرآن الكريم على مكانة موقع الوحي في سيناء في أكثر من مكان واعتبره مكانا مقدسا في قوله تعالى : « فلما أتاها نودى يا موسى . انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى » (طه ١١ - ١٢) . وكذلك قوله تعالى : « وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا » (مريم ٥٢) . وكذلك قوله تعالى : « فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين » . « يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم » (النمل ٨ - ٩) . ويؤكد القرآن الكريم هذه القداسة والبركة لتلك البقعة الطاهرة بقوله تعالى في سورة القصص : « فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا رب العالمين » (القصص ٣٠) .

المبحث الرابع

نتائج وتوصيات نهائية فى علاقة الاسلام باليهودية

بقصد انتهت بنا الدراسة السابقة الى نتيجة نهائية أساسية
الا وهى أن التوراة قد تعددت مصادرها الانسانية ، وضاعت معالم
الوحى فيها • وهذه النتيجة تقودنا الى حقيقة هامة ، وهى
أن تعدد مصادر التوراة أدى بطبيعة الحال الى تعدد مصادر
الديانة اليهودية المعتمدة على التوراة فى أفكارها ومفاهيمها • وفى
ضوء هذه النتيجة نرصد بعض التوصيات التى أمنتها علينا هذه
الدراسة •

أولاً : ضرورة تجنب التعميم فى تحديد علاقة الاسلام باليهودية :

ومن أول التوصيات العلمية التى نوصى بها هنا أن نتجنب
التعميم فى تحديد علاقة الاسلام باليهودية ، وأن نتحرى الدقة
فى البحث عن هذه العلاقة • فعلاقة الاسلام باليهودية محدودة
بمصدر واحد معين من مصادر التوراة وهو المصدر المعبر عن
الوحى الالهى • وهذا المصدر ليس له وجود قوى فى التوراة
على وضعها الحالى • ولكن من بين المصادر المتعددة للتوراة
نستطيع أن نعين مصدراً بعينه يمثل أقرب المواقف التوراتية الى
التعبير عن الوحى الالهى • وقد انتهينا فى هذه الدراسة الى أن
المصدر اللاهوتى هو أقرب مصادر التوراة تعبيراً عن الوحى
الالهى فى التوراة • ومن هنا فالحديث عن علاقة الاسلام باليهودية
يجب أن تكون من خلال هذا المصدر اللاهوتى بعد عزله عن

بقية المصادر ، وتخليصه مما لحقه من شوائب خلال عملية تحرير التوراة التي دامت أكثر من عشرة قرون الى ان أخذت التوراة شكلها النهائي الذي نعرفه عليها الان .

ثانيا : القرآن الكريم مقياس للوحي فى التوراة

ولكن كيف نتعرف على بقايا الوحي الالهى فى التوراة ؟ وكيف وصلنا فى هذا البحث الى أن المصدر الالوهيمى هو أكثر المصادر تعبيراً عن الوحي الالهى فى التوراة ؟

للاجابة على هذه الاسئلة نقول ان المنهج الذى اتبعناه فى هذا السبيل هو اتخاذ القرآن الكريم كمقياس لما هو وحي فى التوراة مصداقا لقولته تعالى : « ألم . الله لا اله الا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بانحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ٠٠ » (آل عمران ١ - ٤) . واستناداً الى هذا خرجنا بالرأى النقدي التالى وهو: أن ما يناسب الرؤية القرآنية من بعض أقوال التوراة فهو الى الوحي الانهى أقرب . وان ما يعارض منها الرؤية القرآنية فهو بعيد عن الوحي ولا يعبر عن القصد الالهى . وبتطبيقنا لهذا المقياس النقدي على مصادر التوراة المعروفة وصلنا الى أن المصدر الالوهيمى فى كثير من جوانبه ومفاهيمه يناسب الرؤية القرآنية فى الوقت الذى تعارض فيه مفاهيم المصادر الاخرى هذه الرؤية القرآنية . ولهذا أيضا حكمنا فى النهاية على هذه المصادر بأنها مصدر التحريف ، ومنبع التبديل الذى طرأ على نص التوراة ، وأثر على البناء العام لليهودية كديانة . ورأينا

كذلك أن الحديث عن علاقة الاسلام باليهودية يجب أن يركز على علاقة الاسلام بتيار معين فى اليهودية هو تيار التوحيد ، ووفقا لفهم معين للتوحيد ، وهو فهم المصدر اللوهمى ٥٠

ويجب أن ندرك فى نفس الوقت أن هذه النتيجة التى وصلنا اليها من هذه الدراسة ليست ايجابية على طول الخط ، ولكنها لا تخلو من بعض السلبيات والصعوبات التى تواجه الباحث فى محاولة الخروج بهذه النتيجة من دائرة البحث والنظرية الى دائرة التنفيذ والتطبيق ، خاصة اذا أردنا أن نصل بهذه النتيجة الى عقل ووجدان الانسان اليهودى أو المسيحى فى عصرنا الحاضر .

وأول هذه السلبيات أن رؤية المصدر اللوهمى على الرغم من تعبيرها عن بقايا الوحي الالهى فى التوراة الا أنها لا تخلو من التحريف فى بعض جوانبها ٥ ونعتقد ان هذا طبيعى ومتوقع فى نص خضع لمئات من عمليات التحرير ، ولم يصبح نصا ثابتا الا بعد عدد من القرون ٥ ولا يخفى أن الهدف الاول لعمليات التحرير المتكررة التى خضعت لها التوراة هو تحقيق نوع من الوحدة فى نص متغير وخاضع لادخال مادة جديدة عليه ٥ فكما سبق القول ، كان من الضرورى التوفيق بين المادة الجديدة والمواد القديمة على الرغم من اختلاف الرؤية باحداث تغييرات داخلية فى مبنى النص حتى يبدو فى النهاية وكأنه نص واحد ٥ والصعوبة الناجمة عن هذا تتلخص فى أن مادة المصدر اللوهمى اندمجت فى غيرها من المواد المتابعة لمصادر أخرى ، وأصبح من الصعوبة عزلها عن هذه المواد ٥ وأن كان التقاد قد تمكنوا أخيرا من عزل مواد

المصادر بعضها عن بعض الا أن هذا العزل لم يتم فى عقل ووجدان الانسان اليهودى والمسيحى الذى يؤمن بالنص ، ولا تهمه نتائج الجهود العلمية فى نقد الكتاب المقدس . وبهذه الطريقة اكتسب النص وحده ذهنية فى عقل المؤمن به ووجدانه وان كانت تنقصه الوحدة فى النص لغة وأسلوباً ورؤية .

ثالثاً : نزعة الاسلام التصحيحية وقضية الصراع بين الاسلام والاديان

والقضية بالنسبة لنا كمسلمين قضية هامة ، ولا يجب الاكتفاء بمجرد الوصول الى رأى نظرى فى علاقة الاسلام باليهودية بل يجب أن نتعدى ذلك الى محاولة تحقيق غائدة عملية من مثل هذه الدراسات المقارنة . ونستند فى ذلك الى حقيقتين هامتين : الاولى تحقيق نزعة الاسلام التصحيحية ، وذلك بتوجيه العقل اليهودى المسيحى ، وتعريفه بما فى كتابه المقدس من مواطن ضعف وقصور . فهذه المهمة لم تكن فى يوم من الايام هدفاً من اهداف حركة نقد الكتاب المقدس فى الغرب . ولهذا ظلت نتائجها العلمية محصورة من حيث الانتشار فى دائرة صغيرة هى دائرة علماء نقد الكتاب المقدس . ولم تتعداها الى كافة اليهود والمسيحيين بسبب غياب النزعة التصحيحية لدى علماء النقد . وواجبنا كمسلمين يحتم علينا نشر هذه النتائج واعلام كافة اليهود والمسيحيين بها عن طريق الأبحاث العلمية الموجهة باللغات الاوربية الرئيسية أو المترجمة عن العربية حتى يتحقق التصحيح بالاسلوب العلمى المناسب للانسان فى القرن العشرين .

والحقيقة الثانية هي أننا كمسلمين نعيش في عالم أهم ما يميزه ذلك الصراع الحريز بين الأديان والايديولوجيات المختلفة . ولا يختلف اثنان في أن أساس هذا الصراع ديني مهما اتخذ من أشكال سياسية أو اقتصادية أو حضارية . الخ . والاسلام - منذ ظهوره يعيش هذا الصراع وقد اتخذت نتائج هذا الصراع على قدر جهود المسلمين في الدفاع عن الاسلام وحضارته عبر العصور .

رابعاً : دور علم مقارنة الاديان

وأهم ما يحتاج اليه الاسلام هنا في العصر الحالي هو أن نوضح صورته، النقية ومعالجه في عقول اصحابه أولاً ونفي عقول غير المعتقدين فيه ثانياً . ونرى أن الوسيلة الناجحة لتحقيق هذا هي عن طريق مقارنة الاسلام بغيره من الأديان . فهذه الوسيلة المقارنة توضح مميزات الاسلام على غيره من الأديان والايديولوجيات، فتسبب لدى المسلم اقتناعاً ذاتياً داخلية مبنية على معرفة حقيقية بغير الاسلام من أجل الوصول الى حقيقة الاسلام . أما بالنسبة لغير المسلم فهذه الوسيلة المقارنة تؤدي الى اثاره شكوك عقلية لدى غير المسلم في ديانته فيقترب من الاسلام . وقد ينتهي به الامر الى اعتناقه . وهذا كسب للاسلام في الحاليتين .

وقد أدرك علماءنا المسلمون الاوائل هذه الحقيقة فاهتموا بها وأعطوها حقها في الدراسة والبحث . وكانت النتيجة ظهور

(م ٥ - علاقة الاسلام باليهودية)

علم إسلامي جديد هو علم « مقارنة الأديان » الذي اهتم بدراسة الأديان الأخرى لتعريف المسلمين بها من ناحية فيزدادوا إيماناً بفضل الإسلام. وتقدمه على كافة الأديان ، ولكي يقدموا الإسلام لغير المسلمين في صورة مقارنة مع ما يملكونه من تفكير ديني مما يسبب إثارة الشكوك في عقائدهم ، ويفتح الطريق أمامهم لتقبل فكرة الإسلام .

ويقدر ما اهتم علماءنا الأوائل بعلم مقارنة الأديان بقدر ما أهمل علماءنا المتأخرون هذا العلم ، وتهاونوا بقيمته كعلم مهمته الأولى خدمة الإسلام ، والدعوة إليه بأسلوب علمي منهجي بعيد عن أساليب الدفاع التي لا يلجأ إليها إلا الضعيف . وقد أعطى علم مقارنة الأديان الدعوة إلى الإسلام امكانية علمية هامة قوامها المعرفة الجيدة بالإسلام والمعرفة الجيدة بغير الإسلام ، والربط بين الاثنين بمنهج علمي في المقارنة . وهذه الاسكانيات أساسية وضرورية للداعية ولا يمكن الاستغناء عنها . ولا ننسى الاهتمام باللغات الأجنبية الذي يثيره علم مقارنة الأديان . فالتعرف الحقيقي على الأديان الأخرى لا يتم إلا عن طريق معرفة لغات هذه الأديان ، خاصة تلك التي كتبت بها نصوصها الدينية .

ولا يسعنا هنا إلا أن نوصي الجامعات الإسلامية والهيئات العلمية المهتمة بالدعوة إلى الإسلام بضرورة إحياء هذا العلم الإسلامي الهام « علم مقارنة الأديان » ، وبعثه من جديد ، وإعطائه ما له من مكانة بارزة في تاريخ العلم الإسلامي . ويمكن أن يتم ذلك بفتح أقسام لمقارنة الأديان تقرر مقررات مستقلة لكل أديان

العالم ، وتركز على مقارنة الاسلام بهذه الاديان ، وتوضيح مواطن الضعف والقوة فيها ، وتعريف طالب الدعوة بنصوص هذه الاديان بلغاتها الاصيلة ان امكن ، وتسليحه بلغة أوربية أساسية على الأقل . ويدون هذه الامكانيات يصبح الداعية كفن يحارب في أرض لا يعرف سبلها وشعابها .

خامسا : ضرورة الاهتمام بكتابات علماء المسلمين في نقد الكتب المقدسة

ويتصل بهذه المهمة الشاقة ضرورة الاهتمام بكتابات المسلمين الأوائل في نقد الكتب المقدسة عند أهل الاديان ، وبالأذات تلك التي تناولت نقد العهدين القديم والجديد وما أكثرها . ويجب أيضا توضيح المنهج الذي سار عليه علماءنا الأوائل في نقد الكتب المقدسة ، وتوضيح اتجاهات النقد عندهم لما في ذلك من إبراز لفضل المسلمين في جانب صعب من الدراسات الدينية التي لم يستطع الغرب - لأسباب متعددة - أن يتفوق فيها الا في القرنين الأخيرين التاسع عشر والعشرين ، وبثأثير من الانتاج الاسلامي لذا نرى ضرورة اعادة نشر هذه الاعمال ، وضرورة ترجمتها الى اللغات الاوربية المختلفة ، وكذلك ضرورة توصيل ما بها من معلومات نقدية الى عقول اليهود والمسيحيين في الغرب عن طريق تبسيط هذه الاعمال ، ونشر الاجزاء النقدية منها - والواردة في كتابات كبيرة - في كتيبات صغيرة باللغات الاوربية لكي يسهل على الانسان الاوربي العادي الاطلاع عليها ، ولا بأس في تزويد هذه الكتيبات الصغيرة ببعض الشروح الضرورية للمصطلحات المستخدمة فيها

مما قيد يصعب فهمه لاختلاف زمان ومكان كتابته هنيذ الأعمال .
أما بالنسبة لعلماء النقد وللمثقفين بشكل عام فيجب تعريفهم بهذه
الأعمال في أشكالها الكاملة بترجمتها الى لغاتهم الاوربية . وكذلك
لتعريف بهذه الأعمال في المؤتمرات العلمية المتخصصة في الدراسات
النقدية لكتب العهد القديم والعهد الجديد ، ونشر أبحاث عنها
في المجالات العلمية المتخصصة في هذا المجال .

ومن الأمور الهامة في هذا الخصوص ضرورة توضيح مدى
تأثير الدراسات النقدية الإسلامية للكتابات اليهودية والمسيحية على
حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب . فليس من المعقول منطقيا أن
يكون علماء الغرب قد وصلوا الى نتائجهم النقدية دون علم بجهود
المسلمين في هذا المجال ، خاصة وأن سبيل التعرف على التراث
النقدي الإسلامي قد توفرت عن طريق مدارس الاستشراق ،
وعن طريق الترجمات القديمة التي تمت لبعض هذه الأعمال الى
اللاتينية ، ومن بعدها الى بعض اللغات الأوربية الحديثة . وهناك
فريق آخر من العلماء في الغرب كان لهم اتصال وثيق بهذه
الدراسات ، وهم علماء الدراسات السامية القديمة ، فقد كانت
اللغات السامية القديمة من أهم الأدوات التي اعتمد عليها علماء
النقد في فهم وتحقيق الكتاب المقدس . واكتسبت العربية والعبرية
والسريانية والحيثية أهمية خاصة لأنها اللغات التي كتبت أو
شُرحت بها كثير من النصوص الدينية اليهودية والمسيحية . ولهذا
فاللغة العربية واحدة من اللغات التي لا ينبغي عنها ناقد
التوراة وبقيّة كتب العهد القديم ، واستفاد منها في الدراسة

النصية والشغوية والأدبية . ونرى أن المعرفة باللغة العربية قد أتاحت لعلماء النقد التعرف على بعض الكتابات العربية الإسلامية في نسد التوراة والاناجيل . وقد أشرنا فى ثنانيا هذا البحث الى أن مؤسس حركة نقد الكتاب المقدس يوليوس فلهاوزن هو فى نفس الوقت أحد كبار المستشرقين الدارسين للديانة الإسلامية وللتاريخ الإسلامى ، ولا نستبعد على الإطلاق امكانية تأثره بالكتابات الإسلامية فى نقد التوراة بالذات ، واستفادته منها فى وضعه نظريته النقدية لها .

سادسا : قضية الاسرائيليات

بالاضافة الى هذا نرى أنه من الفوائد العملية التى نجنيها من الدقة فى تحديد علاقة الاسلام باليهودية وعدم التعميم فى هذا الخصوص أن نصل الى علاج ناجح لمشكلة قديمة لازلنا نعانى منها ألا وهى قضية الاسرائيليات . وفى اعتقادى أن الاسرائيليات كانت نتيجة من النتائج المباشرة للانفتاح على التراث اليهودى القديم استنادا الى اعتراف بوجود علاقة أساسية بين الاسلام واليهودية والمسيحية . ومن هنا فقد اتجه بعض المفسرين المؤرخين الى الكتابات اليهودية والمسيحية بحثا عن تفاصيل لموضوعات أثارها القرآن الكريم فيما يتعلق بتاريخ بنى اسرائيل ، وقصة عيسى عليه السلام ، والقصص القرآنى الخاص بالشعوب القديمة . وهكذا فقد تبرزت بعض الاسرائيليات الى التراث الإسلامى . ولا ننسى الدور الذى لعبه بعض الذين ادعوا الاسلام وتسببوا فى ادخال مواد اسرائيلية كثيرة فى التفسير والتاريخ وغيره من مجالات التراث الإسلامى .

ودعوتنا الى الدقة فى تحديد علاقة الاسلام باليهودية والمسيحية هى أولى الخطى التى يجب اتباعها اذا اردنا تخلص تراثنا الاسلامى وتصفيته من الاسرائيليات ، فقد كان من أخطار التعميم الانفتاح على التراث اليهودى المسيحى دون قيود ، والسماح لمادة كثيرة منافية للتعالم الاسلامى بالتسرب الى تفكيرنا الاسلامى . والعجيب ان المسلمين كانوا على علم ودراية بالنظريات النقدية الموجهة للكتابات اليهودية المسيحية من جانب القرآن الكريم وكتابات علماء النقد المسلمين ، الا أن كثيرا من العلماء المسلمين لم يأخذوا بهذا النقد فى دراساتهم ، واعتبروا اليهودية مصدرا واحدا منها دون تمييز . ولهذا لابد من توخى الدقة عند استخدام المصادر اليهودية المسيحية لتفسير مادة اسلامية معينة ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، أو لشرح حادثة تاريخية معينة . هذا بالاضافة الى أن بعض الفرق الاسلامية قديما قد تأثرت بأفكار يهودية مسيحية ، وطورت حولها مفاهيم جديدة ، ويحتاج الامر الى اعادة النظر فى أمر هذه الفرق وتوضيح العناصر الاسرائيلية التى دخلت فى أفكارها ، ومحاولة اقناع اصحاب هذه الفرق - ان كانت لازالت موجودة - بما تسرب الى تفكيرهم من عناصر اسرائيلية فى محاولة لتصفية هذه العناصر ، وبالتالي التخفيف من حدة الخلافات التى نشأت قديما بين هذه الفرق وبين الرؤية الاسلامية الصحيحة كما عبر عنها القرآن الكريم والسنة النبوية ، ودعوة هذه الفرق فى النهاية الى التفكير الاسلامى الصحيح .

سابعاً : قضية العالم الاسلامى مع الصهيونية

وهناك قضية أخرى لا تقل أهمية عن قضية الاسرائيليات،

الا وهى مشكلة العالم الاسلامى المعاصرة مع الصهيونية . فهذه المشكلة تتطلب منا ضرورة توضيح الصلة التى تربط الصهيونية الحديثة بالتاريخ اليهودى وبالديانة اليهودية ، وكذلك ضرورة ابراز مصادر الصهيونية فى الكتابات اليهودية القديمة ، وعلى الاخص فى التوراة وبقيّة كتب العهد القديم ، وفى التلمود والتفاسير اليهودية .

ولتوضيح صلة هذه القضية بموضوع بحثنا هذا نقول ان التفكير العنصرى الذى تبنته الصهيونية الحديثة انما يعود بأصوله الى بعض مصادر التوراة دون غيرها . ولهذا فالتفكير العنصرى الصهيونى ما هو الا نتيجة من نتائج التحريف والتبديل الذى تعرضت له التوراة . وكما رأينا فى هذا البحث فالمصدر اليهودى يعد بحق المنبع الاول للتفكير العنصرى فى اليهودية ، ومنه استمدت الصهيونية الحديثة أيديولوجيتها العنصرية . فقد طور أصحاب المصدر اليهودى كثيرا من المفاهيم القومية ذات الطابع العنصرى ومنها على سبيل المثال ثاوث الشعب والارض والاله ، ومفهوم « ارض اسرائيل » . وهم الذين أضافوا المعانى العنصرية التى اكتسبتها مفاهيم « العهد » أو « الميثاق » و « الاختيار الالهى » لاسرائيل ، وكذلك « الخلاص الالهى » . وكانت كلها مفاهيم دينية خالصة قبل أن تكتسب هذه المعانى العنصرية التى الصقها بها المسؤولون عن المصدر اليهودى فى التوراة ، وتصبح فيما بعدا سندا للعنصرية التى تبنتها الصهيونية الحديثة .

ومن هنا فالواجب على المهتمين بقضية العالم الاسلامى مع

الصهيونية الحديثة أن يركزوا أبحاثهم على توضيح الصلات التي تربط التفكير العنصري الصهيوني الحديث بالثقراث الدينى اليهودى القديم ، حتى تكون على ادراك بأصول الصهيونية المعاصرة ، ولكى ندرك أيضا أن واحدا من السبل الهامة لمكافحة الصهيونية هى عن طريق الدراسة العلمية الجادة القادرة على تفنيد دغاوى الصهيونية ، والهادفة الى تأكيد عودة التفكير العنصرى الى تيار التحريف والتبديل الذى أصاب الكتب الدينية اليهودية على مر العصور .

والاهم من ذلك هو أن نوضح هذه العلاقة الائمة بين الصهيونية والمصدر اليهودى فى التوراة لليهود المعاصرين أنفسهم عن طريق الأبحاث العلمية الموضوعية الموجهة الى اليهود بلغاتهم المختلفة . فالحقيقة التى لا تدركها الغالبية العظمى من اليهود ، بسبب الدعاية الصهيونية الطاغية على عقولهم وزجرائهم ، هى أن التفكير العنصرى ليس أصيلا فى اليهودية ، وإنما دخلها بتأثير جماعات عنصرية متطرفة أفرزتها أزمات التاريخ اليهودى فى الماضى . وقد نجحت هذه الجماعات فى فرض تفكيرها العنصرى على اليهود الى أن جاءت الصهيونية ونجحت فى احلال الصهيونية مكان اليهودية فى عقول يهود العالم المعاصرة ، واقناعهم بأن الصهيونية ما هى الا امتداد لليهودية ، وأنها ضرورة جنسية ، أو نتيجة نهائية لحركة التاريخ اليهودى الى غير ذلك من الادعاءات .

ولاشك فى أن هذه مغالطة دينية وتاريخية كبرى يمكن توضيحها لليهود عن طريق الإعلام الإسلامى الموجه ،

والذى يجب أن يأخذ دوره الطليعى تى مكافحة الصهيونية مكافحة دينية مبنية على أسس علمية عن طريق الابحاث الجادة التى تركز على عمله فصسل اليهودية عن الصهيونية ، وعدم الرىط بينهما فى عقل الانسان اليهودى ، الذى خدعته الصهيونية حين ربطت نفسها باليهودية . فمن واجبات الاعلام الاسلامى الموجه أن يوضح لليهود المعاصرين أن مناصرة الصهيونية ليست واجبا دينيا . وليست له علاقة باليهودية كما يحاول الصهاينة تصويره .

ثامنا : فائدة الدراسات الدينية المقارنة للاعلام الاسلامى الموجه

ولا يمكن للاعلام الاسلامى الموجه أن ينجح فى مهته هذه الا عن طريق اتجاهين مباشرين . الاتجاه الأول هو اتباع الاسلوب العلمى الاكاديمى الجاد ، وبعيدا عن المهارات الدفاعية المحضة. فى الحديث المباشر الى الجماعات اليهودية فى العالم . والاتجاه الثانى هو معرفة طبيعة الجماعات اليهودية المعاصرة ، وطبيعة تكوينها الدينى والعقلى ، والأهم من ذلك موقفها من الصهيونية وتطورات هذا الموقف . وهذه المرجبة الأخيرة تفيد الاعلام الاسلامى كثيرا حتى لا يتوجه بالحديث الى من لا يهمه الحديث . وهنا نركز على فائدة الدراسات الدينية المقارنة للاعلام الاسلامى الموجه .

ومن معرفتنا المتواضعة بالتاريخ والديانة اليهودية وبالحركة الصهيونية نستطيع أن نميز للاعلام الاسلامى الموجه عددا من

الفئات اليهودية التي يمكن أن تستجيب بحكم مواقفها وتطور تفكيرها لمعطيات الاعلام الاسلامي ، وتعطيها اذانا صاغية حتى لا تذهب جهود هذا الاعلام أدراج الرياح . وإلى القارئ الكريم عرض سريع لهذه الفئات :

١ - تأتي الجماعة المتدينة من اليهود على رأس هذه الفئات . وقد كان أكثر اليهود تديننا أبعدهم عن قبول الافكار الصهيونية وأكثرهم معارضة لها لعلمهم أن اليهودية الصحيحة لا تعرف العنصرية . ولا يجب أن نخلط بين هذه الجماعة المتدينة وبين الجماعات التي ادعت أنها جماعات دينية ، ولكنها في حقيقة الأمر جماعات صهيونية تطرفت فأصبحت الصهيونية ديانتها ، وهي تعمل الآن باسم اليهودية وعلى حسابها . ولا يجب أن نتجاهل أيضا حقيقة أن الصهيونية استطاعت بفضل دعايتها المنظمة احتواء عدد كبير من هؤلاء اليهود المتدينين حقيقة . ويجب على الاعلام الاسلامي الموجه بذل الجهد المركز من أجل الاستعادة هؤلاء ، وابعادهم عن تيار الدعاية الصهيونية عن طريق التركيز على عدم أصالة التفكير العنصري في اليهودية ، وتخليص المفاهيم الدينية من المعاني الصهيونية التي ألصقت بها .

٢ - وإلى جانب هذه الفئة المتدينة توجد جماعات دينية اصلاحية في كل من اليهودية والمسيحية . ومن بينها أعضاء الحركة الاصلاحية اليهودية التي اتخذت من اصلاح اليهودية هدفا لها ، ورأت ضرورة الاستغناء عن كثير من جوانب التراث اليهودي التي لا تتصف بالعقلانية ولا تناسب تفكير الانسان الحديث . ويجب أن

يهتم الاعلام الاسلامى بهذه الفئة لأن من أهم ما يميزها رخصها للأراء العنصرية التى تعزل الانسان اليهودى عن البشرية بشكل عام . وقد كان الاصلاحيون من الراضين لفكرة الصهيونية الى أن احقوتهم الدعاية الصهيونية المنظمة وجعلتهم يتخلون عن معارضتهم لها ولافكارها .

٢ - وبعد ذلك تأتى فئة قليلة العدد ولكنها كبيرة الأهمية ألا وهى فئة علماء نقد الكتاب المقدس من اليهود . وهذه المجموعة ستكون أكثر ترحيباً من غيرها بأجهد النقدية الاسلامية فى مجال نقد التوراة شريطة أن تقدم اليهم هذه الجهود فى أسلوب علمى موضوعى يناسب عقليتهم النقدية التحليلية .

٤ - فئة المثقفين العلمانيين من اليهود . هؤلاء ضاقوا ذرعا بما احتوته اليهودية من أفكار لا توافق العقل ، ومن تعقيدات أدت الى جمود الشعور الدينى لديهم ، وقتلت الاحساس الايمانى عندهم فأعلنوا هجرهم للدين فى شكله الجامد المعقد ، وأخذوا يبحثون عن أشكال دينية جديدة فلجأ بعضهم الى ديانات الشرق ، وكونوا جماعات دينية متأثرة بالبوذية والهندوكية والفلسفات الشرقية بشكل عام . وفشل فريق آخر منهم فى الوصول الى بديل لليهودية فأعلنوا الحادهم وهجرهم للدين كلية ، وتبنوا رؤى فلسفية معيقة . أو خلقوا رؤى جديدة تناسب حالتهم العقلية والتفيسية . وعلى الاعلام الاسلامى مهمة خاصة تجاه هؤلاء الذين لم يجدوا من يقدم لهم الاسلام فى صورته العقلانية ، وفهمه العقلى للدين

وضروته . والذي سبب هروب هؤلاء من اليهودية والمسيحية هو نفس ما يقدمه الإسلام من نقد لهاتين الديانتين . وهذه نقطة التقاء حقيقية بين الإسلام وهؤلاء ، ولو أحسن الاعلام الاسلامى استقلالها لنجح فى كسب عدد كبير منهم الى الاسلام وقضاياه .

٥ - هناك فئة اليهود الشرقيين ، أى الذين يعودون الى أصول شرقية ، وبالذات من يعود منهم الى أصول عربية . فهؤلاء فى مجموعهم يغانون من اضطهاد يهود الغرب لهم الذين يطبقون عليهم قوانين العنصرية المطبقة على غير اليهود بفشل عام . ولو نجح الاعلام الاسلامى فى الوصول الى هؤلاء لأصبحوا قوة لا يستهان بها فى دعم قضية الاسلام مع الصهيونية . وهذه الفئة بالذات أكثر الفئات المذكورة معرفة بالإسلام وحضارته ، فقد نشأت وترعرعت فى ظل الحضارة الاسلامية ، واستفادت من التسامح الاسلامى ، ووصلت بالتراث اليهودى الى أقصى مراحل ازدهاره فى ظل الدولة الاسلامية . وإذا أضفنا الي هذا احساس هذه الفئة من اليهود بأن الكيان الصهيونى كيان غربى فى نشأته وتطوره وفكره ، ويمارس الاضطهاد والعنصرية ضد كل ما هو شرقى لخرجنا فى النهاية بنتيجة ايجابية : وهى إمكانية استقلال هذا العنصر لصالح القضية الاسلامية . وهو عنصر هام لأنه يأتى من داخل الكيان الصهيونى ومن هنا فتأثيره - فى حالة نجاح الوصول اليه - بلاشك أقوى من أى شئ آخر . وواجب الاعلام الاسلامى البحث عن وسائل فعالة للوصول الى هذه الفئة ، واعادة تشكيل موقفها باستغلال أوضاعها الحالية ، وتوجيهها فى صالح قضية الاسلام مع الصهيونية .

٦ - وهناك أخيراً فئة كبيرة تضم كل الشباب الأوربي والأمريكي الناقم على التراث الغربي وعلى الحضارة الغربية بشكل عام . وهذه الفئة تحتاج الى اهتمام مركز من جانب الاعلام الاسلامي الذي يجب أن يأخذ في الاعتبار الطبيعة القنفة لهذه الفئة . والفراغ الديني الذي تعيشه ، وذلك عن طريق تأكيد سلبيات التراث الغربي وسلبيات الحضارة الغربية ، ثم تقديم الثقافة الاسلامية الى هذه الفئة بطريقة تناسب تفكيرها ، وتركز على معالجة أحوالها النفسية وأزماتها الداخلية بما يحقق لها الاستقرار النفسي ، والتكامل الذاتي الذي تسعى اليه .

المـواشـى

(١) يتفق غالبية علماء الكتاب المقدس على أن نص التوراة قد تم تثبيته بواسطة عزرا في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . هذا رأى مدرسة فلهاوزن ، وهو رأى لا يوافق عليه كل من بود وكورنيل . ويعتقد أنصار مدرسة فلهاوزن أن تشريعات اضافية قد ظهرت بعد عزرا وأن محررا كهوتيا قام حوالى ٤٠٠ ق م . بتوحيد المصادر القديمة مع المصدر الكهنوتى . ومنذ عام ٢٢٠ ق م . بالتقريب أصبح نص التوراة قانونيا ، ولم يسمح باضامة مواد أخرى الى التوراة بعد هذا التاريخ . هذا يعنى أن عملية تثبيت نص التوراة قد استغرقت هي الأخرى فترة طويلة امتدت منذ عزرا وحتى زمن الاسكندر الاكبر . ونظرا لأن عزرا هو الذى بدأ عملية التثبيت هذه فقد احتل مكانة هامة فى تاريخ اليهودية حيث يطلق عليه بعض علماء اليهودية لقب أبو اليهودية ، وهو كاتب وكاهن فى نفس الوقت . وكان قد أحضر معه من بابل نسخة من « كتاب ناموس موسى » (نحميا ٨ : ١) ، وقرأه على الناس فى اورشليم ، وكان من تأثير ذلك الاعتراف بالخطيئة ، وأخذ العهد على اتباع الوصايا الالهية كما وردت فى ناموس الرب المعطى لموسى . (نحميا ١٠) . وكان هذا بمثابة تجديد للعهد . ورغم الاختلاف حول طبيعة مادة النص الذى قرأه عزرا الا ان هناك شبه اتفاق على أنه الكتب الخمسة كما حررها الكهنة خلال فترة السبى البابلى . وبهذا يكون الانجاز الذى حققه عزرا هو تثبيت هذا النص واعتباره الناموس الرسمى للدين اليهودى . والذى على أساسه قامت الحياة الدينية اليهودية . انظر

B. W. Anderson, Understanding the Old Testament,
Prentice-Hall, N. J., 1964, p. 454-7.

A. Robert and A. Feuillet, Introduction
to the Old Testament, Vol. I. trans, from the
French, Doubleday and Co., N.Y., 1970, p. 139.

Robert H. Pfeiffer 'A Non-Israelite'. (٢)
Source of the Book of Genesis' ZAW 48, 1930,
pp. 66-73.

(٢) من الأعمال التي تعبر عن هذا الاتجاه الخطيء في
الربط بين اليهودية والاسلام :

Abraham Geiger, Was hat Mohammed aus dem
Judenthum aufgenommen ? 1833. Trans-
lated into English, by F. M. Young under the
title, Judaism and Islam, Madras, 1898.

C. C. Torrey. The Jewish Foundations of Islam,
N. Y., 1933.

Alfred Guillaume, "The Influence of Judaism on
Islam" The Legacy of Israel, Oxford, 1927.
pp. 129-171.

Abraham Katch. Judaism in Islam. N.Y.. 1954.

S.D. Goheen, Jews and Arabs, their Contacts through the Ages, Schocken Books, N. Y., 1955.

H. Cazelles 'The Torah (Pentateuch)' in A. (٤)
Robert A. and A. Feuillet, Introduction to the Old Testament, Vol. I, p. 140.

Herbert F. Hahn, The Old Testament : وانظر أيضا :
in Modern Research, with a Survey of Recent Literature by H.D. Hummel, Fortress Press, Philadelphia, 1966, pp. 11-17.

(٥) من أهم أعمال أستروك النقدية :

Conjectures sur les mémoires dont il paroît que Moyse
s'est servi, pour composer le livre de la Genèse.
Paris, 1753

ومن الشروح التي صدرت لأعمال أستروك وآرائه النقدية
انظر :

A. Lods, Jean Astruc et la critique biblique au XVIIIe
Siècle, 1924.

O'Doherty, 'The Conjectures' of Jean Astruc, 1753,
Catholic Biblical Quarterly, Washington, Vol. 15,
1953, pp. 300-304.

Ronald de Vaux, 'A propos du second centenaire
d'Astruc. Reflexions sur l'état actuel de la criti-

que du Pentateuque' Supplements to Vetus Testamentum, Leiden, Vol. I, 1953, pp. 182-193.

(٦) وضع فيتر هذه النظرية في تفسيره الذي لم يكتمل للتوراة
Jura Israelitarum in Palaestinam بعنوان

Cazalles, p. 130. (٧)

ibid. p. 130. (٨)

Otto Eissfeldt, The Old Testament, an Introduction trans. by P. R. Ackroyd, Harper and Row Publishers, N.Y., 1965, p. 164. (٩)

(١٠) ترك فنهاوزن عددا من الأعمال النقدية الهامة التي غيرت
من مسار الحركة النقدية للتوراة * ومن أهم هذه الأعمال :

'Die Composition des Hexateuchs' Jahrbücher für
deutsche Theologie 21 (1876), pp. 392-450. 531-602;
22 (1877) pp. 407-79.

وكذلك عمله النقدي الأساسي :

Prolegomena zur Geschichte Israels, Berlin 1883 ;
English translation, Prolegomena to the History
of Israel, Edinburgh (1885).

(م ٦ - علاقة الاسلام باليهودية)

ومن أعماله أيضا

israelitische und Jüdische Geschichte, Berlin, 1894.

ومن الأعمال التي تأثرت بنظرية غلهاوزن النقدية :

C. H. Cornill, Einleitung in das Alte Testament Freiburg, 1891.

S. R. Driver, An introduction to the Literature of the Old Testament, Edinburg, 1891.

Lucien Gautier, Introduction à l'Ancien Testament, Lausanne 1906.

G. B. Gray, A Critical Introduction to the Old Testament London, 1913.

W.O.E. Oesterley and Th. H. Robinson, An Introduction to the Books of the Old Testament, London, 1934.

(١١) المقصود هنا الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام ، ولا يدخل ضمنهم الانبياء السابقون عليه . وعلى كل حال يجب الإشارة هنا الى اختلاف عبارة أنبياء بنى اسرائيل في الاستخدام الاسلامى عنها في الاستخدام اليهودى ، حيث ان العبارة الاسلامية تضم كل الانبياء الذين ظهروا فى بنى اسرائيل . أما المقابل اليهودى فيطلق على مجموعة الأنبياء الذين ظهروا من بعد موسى عليه السلام ، ونادرا ما تطلق كلمة (نبي) على إبراهيم واسحاق

ويحتسب ويوسد وغيرهم من الشخصيات التي ظهرت قبل موسى عليه السلام . وقد استبدل التراث الدينى اليهودى كلمة نبي وأنبياء بكلمة (ب) و (آباء) لتعريف هذه الشخصيات . وهذه الألفاظ لها دلالتها القومية العنصرية إذ أنها تحاول أن تربط هذه الشخصيات بالتراث اليهودى ربطا عرقيا .

انظر فى ذلك مقال : تقييم اسلامى تاريخ أنبياء بنى اسرائيل ،
مجلة النيصن العدد ٨٤ جمادى الآخرة ١٤٠٤ . الرياض .

Cazalles, p. 136-7.

(١٢)

(١٣) يجب أن نشير هنا الى أن هناك مصادر أخرى للتوراة غير هذه المصادر الأربعة ، ولكنها تقبل عنها كثيرا فى الأهمية ، وفى تواجدتها داخل النص . وقد اتجه بعض النقاد الى ضم هذه المصادر الى مادة أحد المصادر الأربعة الأساسية ، مراعين فى ذلك قريتها من اتجاه ونظرة هذا المصدر . بل مال بعضهم الى تقسيم المصدر الواحد الى عدة مصادر داخلية والتمييز بينها باعطاء رقم معين كـ نقول مثلا يهوى ١ ، يهوى ٢ ، يهوى ٣ ، او كلمة الوهيمى ٢ ، الوهيمى ٣ ، وهكذا .

وهناك مصدر هام لم يتمكن النقاد من ضمه بسهولة الى مادة المصادر الأربعة الرئيسية . ولهذا فقد اتجه بعض النقاد مثل ايسفلت الى اعطاء هذا المصدر علامة تميزه عن غيره . ووقع اختيار ايسفلت على الرمز ^L للدلالة على مادة هذا المصدر . وهذا الرمز اختصار لكلمة Lay ، ونترجمها هنا « العالمى » أو

«غير الكهنوتي» ، وقد اعتبر ايسغلت هذا المصدر انتم المصادر على الاطلاق لاجتوائه على عناصر تبدو أصلية وبدائية. فى نفس الوقت ، منها مثلاً نظرتة الى الانسان القديم على أنه بدوى ، والى البشرية آنذاك على أنها جماعة من البدو ، والى جماعة بنى اسرائيل على أنها جماعة بدوية . وهى صورة لا نجدها فى بقية المصادر . كما أن تصور هذا المصدر لثالوهة تصور انثروبومورفى أى تجسدى تشبيهى .

ومن المواد التى نسبت الى هذا المصدر ما يلى : التكوين
٢ : ٤ ب ، ٣ : ٢٤ ، ٤ : ١ ، ١٧ أ ، ١٨ - ٢٤ ، ٦ : ١ - ٤ ،
٩ : ١ - ٩ ، ١٢ : ١ - ١٤ ، ٦ - ٨ ، ١٣ : ٢ ، ٥ ، ٧ - ١١ ،
١٢ ب - ١٨ ، الاصحاحان ١٧ ، ١٩ ، ٢٥ : ١ - ٦ ، ١١ ب ،
٢١ - ٢٦ أ ، ٢٩ - ٣٤ ، ٢٦ : ١ - ٢ ، ٣ - ٦ ، ٢٣ ،
٢٥ ب - ٣٣ ، ٢٩ : ١ ، ٣٠ : ٢٤ ، ٢٥ - ٤٣ ، ٣١ : ١ ، ٣ ،
١٩ - ٢٤ ، ٣٢ : ٢٤ ب - ٣٣ ، ٣٣ : ١٨ - ١٩ ، اصحاح ٣٤ ،
٣٥ : ٥ ، ٢١ - ٢٢ ب ، ٣٦ : ٢ ب - ٥ ، ٩ - ٣٩ ، الاصحاح
٣٨ ، ٣٩ : ١٠ - ٢ ، ٧ .

وفى الخروج ١ : ٢ ، ٣ : ٢١ - ٢٢ ، ٤ : ١ - ٩ ، ١٩ - ٢٦ ،
٣٠ ب - ٣١ ، ٧ : ١٥ ب ، ١٧ ب ، ١٢ : ٢١ - ٢٧ ، ٣٣ -
٣٩ ، ١٣ : ٣ - ١٦ ، ٢٠ ، الاصحاح ١٤ ، ١٥ : ٢٠ - ٢٧ ،
الاصحاح ١٦ ، ١٧ : ١١ أ ، ٨ - ١٦ ، ١٩ : ٢ - ٢٥ ، ٢٤ : ٢ - ١ ،
٩ - ١١ ، ١٣ : ١ ، ١٤ - ١٥ أ ، ٣٢ : ١٧ - ١٨ ، ٢٥ - ٢٩ ،
٣٣ : ٣ - ٤ ، ٣٤ : ١٠ - ١٣ .

وفى سفر العدد ١٠ : ٢٩ - ٣٦ ، ١١ : ١ - ٣ ، ٤ - ٢٥ ،
الاصحاحات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ . الاصحاح ٢٠ : ١ - ١٣ ، ١٤ .
٢١ ، ٢١ : ١ - ٣ ، ١٠ - ٣٥ ، ٢٥ : ١ - ٥ . الاصحاح ٢٢ .
انظر Eissfeldt, The Old Testament, an Introduction
pp. 169-170, 194-199.

(١٤) من المواد التي نسبت الى المصنوع الالهيمى فى القوراة
ما يلى : التكوين : الاصحاحات ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ : ١ - ٧ ،
٨ - ٢١ ، ٢٢ - ٢٤ ، الاصحاح ٢٢ . الاصحاح ٢٤ ، ٢٥ : ١١١ ،
٢٧ - ٢٨ ، ٢٦ : ٢ - ٥ . الاصحاح ٢٧ ، ٢٨ : ١٠ - ١٢ .
١٧ - ١٨ ، ٢٠ - ٢٢ ، ٢٩ : ١ ، ٣٠ : ٢٤ ، ٣١ : ٢ ، ٤ - ١٨ ،
١٩ - ٥٤ ، ٣٢ : ١ - ٢٤ ، الاصحاح ٢٣ ، ٣٥ : ١ - ٤ ،
٦ - ٨ ، ١٤ ، ١٦ - ٢٠ ، ٣٦ : ٢ - ٥ ، ٩ - ٣٩ ،
٣٧ : ٣ - ٣٦ . الاصحاحات ٣٩ ، ٤٠ .

وفى سفر الخروج : الاصحاحات الأول والثانى والثالث ،
الاصحاح ٤ : ١٠ - ١٧ ، ٢٧ - ٢٨ ، ٣٠ ، ١ . الاصحاح
الخامس ، ٦ : ١ ، الاصحاحات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ : ١٣ ، ٣١ :
١٧ - ١٩ ، الاصحاح ١٤ ، ١٧ : ١ - ٧ . الاصحاح ١٨ ، ١٩ ،
٢٠ - ٢١ : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ : ٢٣ ، ٢١ ، ٢٢ : ٢٠ - ٢٤ ،
٣ - ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٣١ : ١٨ ، ٣٢ : ١ - ١٦ ،
١٩ - ٢٤ ، ٣٠ - ٣٥ ، ٣٣ : ٥ - ١١ .

وفى سفر العدد : ١١ : ٤ - ٣٥ ، الاصحاحات ١٢ ،
١٣ ، ١٤ ، ٢٠ : ١١ ، ١٤ - ٢١ ، ٢١ : ٤ - ٩ ، ١٠ - ٣٥ ،
الاصحاحات ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

وفى سفر التثنية : ٣١ : ١٤ - ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ : ١ .
Eissfeldt, pp. 200-1. انظر

(١٥) الالهيم 'אלהים كلمة تنتهى بالياء والميم علامة
الجمع فى العبرية وقد وردت فى هذه الصيغة اى بمعنى (آلهة)
فى سفر الخروج ٢٠ : ٣

'לא - יהיה לך אלהים אחרים על - פני

لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . والمفرد منها אלה , بمعنى اله .
وهى صيغة تتكرر كثيرا فى سفر أيوب بالذات . وقد ورد أول
استخدام لها فى سفر التثنية ٣٢ : ١٥ حيث نقراً :

'ויש אלה עשהו فرفض الاله السدى عمله .

ومن أمثلة ورود אהיה فى سفر أيوب - מז - תריבני

אמר אל - אלה אל - חרשיעני הודיעני על

فأثلاً لئلا تستندنبنى فهمنى لماذا تخاضمنى « أيوب ١٠ : ٢ . وانظر
كذلك أيوب ١١ : ٦ ، ٧ .

ويجب أن نشير هنا الى أنه مع استخدام الوهيم للدلالة على
الجمع الا أن الكلمة أصبحت تستخدم عامة كاسم جمع للدلالة على
المفرد ، ولهذا فهى تعنى عامة الآلهة أو (الله) . وهذا هو المقصود
بها حين الإشارة إليها فى المصدر الالوهيمى الذى سمي بهذا الاسم
لاستخدامه كلمة الوهيم للدلالة على الألوهية بدلا من الاسم يهود
المستخدم فى مادة المصدر اليهودي .

Julius A. Bewer, The Literature of the Old انظر

Testament, Columbia University Press New York and London, 1962, p. 79.

Robert H. Pfeiffer, Introduction to the وانظر أيضا
Old Testament, Harper & Brothers Pub. N. Y.,
1948, p. 168.

Eissfeldt, p. 182-3.

وانظر

جواد على • المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام الجزء ٦
مكتبة النهضة بغداد • الطبعة الثالثة ١٩٨٠ ، ص ٢٣ - ٢٤ •

G. E. Wright and R. H. Fuller, The Book of (١٦)
the Acts of God, Contemporary Scholarship In-
terprets the Bible, Doubleday & Co., N.Y.,
1960, p. 35.

(١٧) الخروج ١٩ : ٥ - ١٦ •

Eissfeldt, p. 201

(١٨)

(١٩) سفر اخبار الايام الأول ٧ : ٢٩ - ٣٠

(٢٠) سفر التكوين ٢٠ : ١٢ ، ٣١ : ٤ - ١٣ وسفر الخروج

٢٠ : ١ - ١٧

Bewer, p. 79.

وانظر Gazalles, p. 208. وكذلك

(٢١) سفر العدد ١٤ : ٣٩ - ٤٥

Bewer, p. 80

وكذلك

Gazalles p. 213.

(٢٢)

(٢٣) سفر الخروج ٣٢ : ٣٤
وانظر Eissfeldt, pp. 202-3. وكذلك Cazalles, pp. 209-210.

(٢٤) سفر التكوين ٢٠ : ٧ . ٤١ : ٣٨

(٢٥) سفر العدد ١١ : ٢٩ . Eissfeldt, p. 203.
وانظر أيضا Bewer, pp. 85-6.

(٢٦) Eissfeldt, p. 203.

(٢٧) Cazalles, p. 209.

(٢٨) Eissfeldt, p. 204.

(٢٩) سفر الخروج ، الاصحاح ٣٣
وانظر Cazalles, p. 210.

(٣٠) الخروج ٣٣ : ٢٠ . Cazalles, pp. 209-210.

(٣١) المقصود بالأنثروبومورفيه anthropomorphism
نسبة الصفات والخصائص والأعمال الانسانية الى الله ، أو بمعنى
أعم وصف الاله بصفات انسانية . وقد لوحظ أن الاله يهوه قد صور
فى التوراة بصور وأوصاف انسانية . حاول المصدر الألوهيمى أن
يخفف من حدتها عن طريق تأويل هذه الصفات واعتبارها صفات
مجازية أو رمزية . والمشكلة فى أساسها مشكلة لغوية فاللغة
الانسانية تصور الألوهية وتصفها مستخدمة مقولات من الحياة
الانسانية . ولكن هناك على كل حال اختلاف واضح بين لغة العهد
القديم فى وصف الاله ولغة شعوب الشرق الأدنى القديم اللوتينية التى

استندت الى الأسطورة واللغة الأسطورية في وصف الألوهية مما أدى الى الاستغراق في التشبيه .

G. Ernest Wright, The Old Testament Against انظر
its Environment, SCM Press, London, 1968,
pp. 25-6.

وانظر
Van Harvey, A Handbook of Theological Terms :
Their Meaning and Background, The MacMillan
Co., N. Y., 3rd printing, 1968.

Cazalles, p. 212. (٣٢)

(٣٣) الخروج ١١ : ١ - ٢ : ٢٥

(٣٤) من المواد التي نسبت الى المصدر النيهوى ما يلي :

سفر التكوين : ٢ : ٤ ب ، ٣ : ٢٤ ، ٤ : ٢ - ١٦ ، ١٧ ب ،
٢٥ - ٢٦ ، ٥ : ٢٨ ، ٦ : ٥ ، ٩ : ١٩ ، ٢٠ ، الاصحاح
العاشر ، ١١ : ٢٨ - ٣٠ ، ١٢ : ١ - ١٤ ، ١٥ - ٢٠ ، ١٣ : ١ ،
الاصحاح الخامس عشر ، ١٦ : ١١ - ٢ - ٤ ، ١٤ - ٢٢ ، ١٧ : ١ - ٢٢
٢٢ - ٢٤ ، الاصحاحات ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ : ١٨ ، ٢٧ - ٢٨ ،
٢٦ : ٢ ب ، ٣ ب ، ٢٤ - ٢٥ ، الاصحاح ٢٧ ، ٢٨ : ١٢ - ١٦ ،
١٩ ، ٢٩ : ١ ، ٣٠ : ٢٤ ، ٢٥ - ٤٣ ، ٣١ : ١٩ - ٥٤ ، ٣٢ :
١ - ١٤ ، الاصحاح ٢٣ ، ٢٦ : ٢ ب - ٥ ، ٢٩ - ٣٧ ،
٣ - ٢٦ ، الاصحاحان ٣٩ ، ٤٠ .

ومن سفر الخروج : الاصحاحان الأول والثاني والثالث
٤ : ١٨ ، ٢٩ ، ٣١ ب ، الاصحاح الخامس ، ٦ : ١ ، الاصحاحات
٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ : ٢٩ - ٣٠ ، ٣٢ ، ١٣ : ٢١-٢٢ ،
الاصحاحان ١٤ ، ١٦ ، ١٧ : ١ ب - ٧ ، الاصحاح ١٨ ، ١٩ :
٢ - ٢٥ ، ٢٠ : ٢٢ ، ٢٠ - ٢٣ ، ٢٣ : ١ - ١٣ ،
٢٤ : ١ - ٢٨ .

وفي سفر العدد : ١٠ : ٢٩-٣٦ ، ١١ : ٥٤-٣ ، الاصحاحات
١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٠ : ١٤ - ٢١ ، ٢١ : ١٠ - ٣٥ ، الاصحاحات
٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ : ١ ب - ٥ ، الاصحاح ٣٢ .

وفي سفر التثنية : ٣١ : ١٤ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٣٤ : ١١ ، ٢-٦ ،
Eissfeldt, p. 199-200. انظر :

(٢٥) يهوه هو الاله الذي عبده العبريون بهذا الاسم الذى
اُخبر به الرب موسى حسب رواية الخروج ٣ : ١٤ . وقد اختلف
العلماء حول معنى الاسم يهوه יהוה وعن أصل هذا الاله .
واعتماداً على نص الخروج יהוה יהוה אלהינו تم تفسير
الاسم يهوه بمعنى (هو الذى يكون) أو (هو الذى يوجد) أى الخالق .
وهذه العبارة قصد بها أن تكون شرحاً أو تفسيراً للاسم يهوه ولكنها
لم تحسم الخلاف العلمى حول معنى يهوه وأصلها أو اشتقاقها . وقد
اعتبرها R. Kohler و J. Obermann اسم ذات أو جوهر
مسيوقاً بالياء ويعنى (هو الذى يكون) أو (هو الذى يوجد) .
بينما اعتبرها Albright و Cross صيغة فعلية فى الزمن

المضارع تعنى (هو يكون) أو (هو الذى يسبب) أى (هو الذى يخلق) * ومن التفسيرات الأخرى تفسير فلها وزن الذى اشتق يهوه من الفعل (هوى) العربى بمعنى (يسبب السقوط) أو (يهب) أو (يهوى) نسبة الى احدى صفات الاله يهوه الاساسية وهو أنه اله الريح والعواصف * وقد تبع Engnell فيها وزن فى هذا الرأى * أما عن أصل الاله يهوه فقد اعتبره بعض الباحثين الهه المديانيين أو الهه Kenites الكينيتيين أو الهه سينيتائى ؟

انظر فى هذا الأعمال التالية :

H. Ringgren, Israelite Religion, Fortress Press, Phila , 1966.

L. Köhler, Die Welt des Orients, I.S. 1950. انظر :

J. Obermann, 'The Divine Name YHWH in the Light of Recent Discoveries' JBL, LXVIII, 1949.

W. F. Albright, "The Names 'Israel' and 'Judah' etc..." JBL XLVI, 1924.

F. M. Cross, Yahweh and the God of the Patriarchs, HTR, LV, 1962.

A. Murttonen, "The Appearance of the Name YHWH outside Israel' SOSOF, XIV, 1951.

وانظر سياتينو موسكاتى * الحضارات السامية القديمة ترجمته د. السيد يعقوب بكر * دار الكاتب العربى

Cazalles, p 207. (٢٦)

Eissfeldt, p. 195. (٢٧)

ibid, p. 200 (٢٨)

(٢٩) سفر الخروج ٢٨ : ١ - ٣

(٤٠) انظر مثلاً التكوين ٢ : ١٥ ، العدد ٢٤ : ٧

(٤١) من المواد التي نسبت الى المصدر الكهنوتي ما يلي :

في سفر التكوين : ١ : ١ - ٢ ، ٤ ب ، الاصحاح الخامس ،
٦ : ٥ ، ٩ : ١٩ ، ٢٨ - ٢٩ ، الاصحاح العاشر ، ١١ : ١٠ - ٢٦ ،
٢٧ ، ٣١ - ٣٢ ، ١٢ : ٤ ب - ٥ ، ١٣ : ٦ ، ١١ ب - ١٢ ،
١٦ : ١١ ، ٣ ، ١٥ - ١٦ ، الاصحاح ١٧ ، ١٩ : ٢٩ ، ٢١ : ٢ ب
- ٥ ، الاصحاح ٢٣ ، ٢٥ : ٧ - ١٠ ، ١٢ - ١٧ ، ١٩ - ٢٠ ،
٢٦ ب ، ٢٦ : ٢٤ - ٣٥ ، ٢٧ : ٤٦ ، ٢٨ : ١ - ٩ ، ٢٩ : ٢٤ ،
٢٨ ب - ٢٩ ، ٣٠ : ١٤ ، ٩ ب ، ٣١ : ١٨ ، ٢٣ : ١٨ ، ٣٥ :
١٦ ، ١٩ - ١٣ ، ١٥ : ٢٢ ب - ٢٩ ، ٣٦ : ١ ، ١٢ ، ٦ - ٨ ،
٤٠ - ٤٣ ، ٣٧ : ١ - ٢ ، ٤١ : ٤٦ ، ٤٦ : ٦ - ٢٧ ، ٤٧ :
٥ - ١١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٨ : ٣ - ٧ ، ٤٩ : ١ ، ٢٨ - ٣٣ ، ٥٠ :
٩٢ - ٩٣ .

في سفر الخروج : ١ : ١ - ٥ ، ١٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢ : ٢٣ ،
٢٥ - ٢٦ : ٢ - ٣٠ ، ٧ : ١ - ١٣ ، ١٩ - ٢٠ ، ٢١ ب - ٢٢ ،

٢٠ : ١٢ ، ٩ : ١١ ، ١٢ - ٨ : ٩ ، ١٥ - ١١ ، ٣ - ١ : ٨
 ، ١٤ ، ١١٣ - ٦ ، ٣ - ٢ ، ١ : ١٦ ، ٢ : ١٣ ، ٤٠ ، ٢٨
 : ٢٤ ، ١٩ : ١٥ - ١١٨ ، ٢٥ : ١ : ٣١ ، ١٧ : ١٨ ، ٢٤ : ٢٥
 ، ٢٩ - ٢٥ ، الاصحاحات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ،

وفى سفر اللاويين : الاصحاحات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ،
 ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٧ ،

وفى سفر العدد : ١ : ١ : ١٠ : ٢٨ ، الاصحاحات ١٣ ، ١٤ ،
 ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ : ١ : ١٣ - ٢٢ ، ٢٩ ،
 ٢٢ : ٢٥ ، ٦ : ٣١ ، ٥٤ : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

وفى سفر التثنية : ٣٢ : ٤٨ - ٥٢ ، ٢٤ : ١ : ٧ ، ٩ ،
 Eissfeldt, pp. 188-9. انظر :

E. Wright, The Book of the Acts of God, p. 35. (٤٢)

Eissfeldt, p. 208. (٤٣)

Ibid, p. 206. (٤٤)

E. Wright, The Book of the Acts of God, p. 35. (٤٥)

(٤٦) سفر التثنية ١٧ : ١٨

وانظر : Cazelles, pp. 112-113.

E. Wright, The Book of the Acts of God, p. 36. (٤٧)

Cazalles, pp. 214-215

(٤٨)

(٤٩) انظر فى هذا الأعمال التالية :

A. C. Welch, The Code of Deuteronomy, a new theory of its origin, London, 1924.

———, The Problem of Deuteronomy, JBL 43, 1929, pp. 291-303.

A. All, 'Die Heimat des Deuteronomiums' Kleine Schriften, II, 1953, pp. 250-275.

G. Von Rad, Das Gottesvolk im Deuteronomium BWANT III : 2. Stuttgart, 1929.

——— Studies in Deuteronomy, London, 1953.

E. W. Nicholson, Deuteronomy and Tradition, Literary and Historical Problems in the Book of Deuteronomy, Fortress Press, Philadelphia, 1967.

(٥٠) سفر التثنية ٥ : ١٠ ، ٧ : ١٢ ، ٩ : ٨

(٥١) سفر التثنية ٤ : ٢٤ ، ٥ : ١٩ ، ٧ : ٦ ، ١٥ : ٧ ،

Cazalles pp. 216-7.

وانظر : ١٧ : ١٨

(٥٢) أهم أعمال فلهاوزن فى مجال الدراسات العربية

والاسلامية :

— Reste arabischen Heidentums, Berlin 1887.

— Prolegomena zur aeltesten Geschichte des Islams, Berlin, 1899.

— Die religiös — politischen Oppositions parteien im alten Islam, Berlin, 1901.

له ترجمة عربية للدكتور عبد الرحمن بدوي بعنوان أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الاسلام : الجوارح والشيعة الكويت الطبعة الثانية ١٩٧٦ .

— Das arabische Reich und sein Sturz, Berlin, 1902.

له ترجمة انجليزية لجراهام وير بعنوان :
Arab Kingdom and its Fall Kalkutta, 1927.

وله ترجمة عربية للدكتور يوسف العثري دمشق ١٩٥٦
وترجمة عربية ثانية للدكتور ، حمد عبد الهادي أبو زيد القاهرة .
١٩٥٧ .

عن أهم أعمال فلهاوزن في مجال نقد العهد القديم وفي الدراسات اليهودية انظر الحاشية ١٠ .

(٥٢) أهم الوصايا الاخلاقية الواردة ضمن الوصايا العشر :
(أكرم أباك وأمك) ، لا تقتل ، لا تزني ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ، ولا تشبه امرأة قريبك ولا تشبه بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك .
التثنية ٥ : ١٦ - ٢١ وانظر أيضا الخروج ٢٠ : ١٣ - ١٧ .
انظر :

Pfeiffer, Introduction to the Old Testament, pp. 228
231.

Gazalès, p. 209: (٥٤) وانظر أيضا :

Eissfeldt, p. 203.

Cazalles, pp 209-211. (٥٥) وانظر أيضا :

Eissfeldt, p. 203.

Eissfeldt, p. 204: (٥٦)

(٥٧) استنادا الى اشتقاق اسم الاله يهوه יהוה

من الفعل היה وهو الذى يؤدى معنى

الوجود او الكينونة فى اللغة العبرية . وقد ورد بهذا المعنى

فى تفسير اسم الاله فى سفر الخروج ٣ : ١٤ فى عبارة

אֲנִי הָאֵל אֲשֶׁר אֵלֶיךָ

والتي يصعب ترجمتها ترجمة حرفية وربما تعنى « أنا

الذى هو أنا » وقد فسر اسم الاله عند بعض العلماء بمعنى « هو

الذى يتسبب فى الوجود » .

وقد اعتمد فى هذا المعنى على التقارب اللفظى بين كلمة يهوه

יהוה والفعل היה ومن هنا يكون

الله قد قدم نفسه الى موسى على أنه هو الواحد الموجود أو

« الواجب الوجود » بالمعنى الميتافيزيقي وكذلك واهب الوجود أى

الخالق

انظر Ronald E. Clements, Exodus, The Cambridge

Bible Commentary on the New English Bible

Cambridge Univ. Press, 1927, pp. 22-4.

وانظر أيضا : Thorleif Boman, Hebrew Thought Compared With Greek, Norton and Co., New York, 1970, pp. 846-49.

יהושע שטיינברג , מלון החנ"ך , עברית וארמית

, תל אביב , ע" 307 .

وانظر :

p. 307, 1977.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس • دار الكتاب المقدس • القاهرة

החניך, לונדון, 1956.

אברהם אבן שושן, המלון החדש, ירושלים 1980.

יהושע שטיינברג, מלון החניך, עברית וארמית,

חל אביב 1977.

מ.צ. סגל, מבוא המקרא, ירושלים 1977

جواد على ، « الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » الجزء
السادس مكتبة النهضة بغداد الطبعة الثالثة ١٩٨٠ .

سن • موسكاتي الحضارات السامية القديمة ترجمة د • السيد
يعقوب بكر راجعه د • محمد القصاص دار الكتاب العربي

W. F. Albright, From the Stone Age to Christianity.

Monotheism and the Historical Process, Double-

day & Co, N: Y., 1957.

Yahweh and the Gods of Canaan, Double-
day, 1969.

- B. W. Anderson, *Understanding the Old Testament*,
Prentice-Hall N. J. 1964.
- J. A. Bower, *The Literature of the Old Testament*,
Columbia Univ. Press, N.Y., and London, 1962.
- Thorleif Boman, *Hebrew Thought Compared With
Greek*, Norton & Co. N. 1970.
- H. Cazalles, 'The Tor ah (Pentateuch)' in A. Robert
and A. Feuillet, *Introduction to the Old Testa-
ment*, Vol. I. trans. from the French, Doubleday
& Co., N. Y., 1970.
- R. E. Clements, *Exodus, The Cambridge Bible Com-
mentary on the New English Bible*, Cambridge
Univ. Press, 1982.
- Benjamin Davidson, *The Analytical Hebrew and
Chaldee Lexicon*, Zondervan Publishing House,
Michigan. 1975.
- O. Eissfeldt, *The Old Testament, an Introduction*,
Harper & Row, N. Y. 1965.
- W. H. Green, *The Higher Criticism of the Pentateuch*,
Charles Scribner's Sons, N. Y., 1895.
- H. F. Hahn, *The Old Testament in Modern Research*,
with a Survey of Recent Literature by H. D.
Hummel, Fortress Press, Philadelphia, 1966.

Van Harvey, A Handbook of Theological Terms, The MacMillan Co., 1968.

Yehezkel Kaufmann, The Religion of Israel, from its Beginnings to the Babylonian Exile, trans. from the Hebrew by Moshe Greenberg, the University of Chicago Press, 1960.

R.W. Klein, Textual Criticism of the Old Testament from the Septuagint to Qumran, Fortress Press, Philadelphia, 1974.

E. B. Mellor, ed., The Making of the Old Testament, The Cambridge Bible Commentary on the New English Bible, Cambridge University Press, 1972.

E. W. Nicholson, Deuteronomy and Tradition Literary and Historical Problems in the Book of Deuteronomy, Fortress Press, Philadelphia, 1967.

R. H. Pfeiffer, Introduction to The Old Testament, Harper & Brothers Pub. N. Y., 1948.

——— 'A Non-Israelite Source of the Book of Genesis' ZAW 48 1930.

H Ringgren, Israelite Religion, Fortress Press Philadelphia, 1966.

———— Religions of the Ancient Near East, trans. by
J. Sturdy, The Westminster Press, Philadelphia,
1973.

A Robert and A. Feuillet, Introduction the Old Testa-
ment, Vol. I, trans. from the French, Doubleday
and Co., N.Y., 1970.

H. H. Rowley, ed., The Growth of the Old Testament,
Harper and Row Pub. N.Y., 1963.

————, The Old Testament and Modern Study, a
Generation of Discovery and Research, Oxford
Univ. Press, 1967.

G. E. Wright, The Old Testament against its Environ-
ment, SCM Press, London, 1968.

———— and R. H. Fuller, The Book of the Acts of God,
Doubleday & Co., N. Y., 1960.

———— ed., The Bible and the Ancient Near East,
Essays in Honor of W. F. Albright, Doubleday &
Co. N. Y., 1965.

